الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

المـــــوضـــوع:

الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم فن الترسل بين ابن خلدون و ابن الخطيب
الرسائل المتبادلة في كتاب التعريف بابن خلدون أنموذجا

إعداد الطالبة :
طالب إيمان

إشـــراف:
أ.د. محصر وردة

لجنة المناقشة		
أ.د	محمد مرتاض	رئيسا
د	*شيراني*	ممتحنا
أ.د	محصر وردة	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1439-1440هـ
2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعملوا فسيرى الله عملكم
و رسوله و المؤمنون
صدق الله العظيم

إهداء

إلى نبع الحنان إلى بسمة الحياة و سر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي إلى أغلى الحبايب

أمي الغالية

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

إلى من كلله الله بالمهيبة و الوقار

إلى ينبوع العطاء

والدي العزيز

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي

إلى من بوجودهم اكتسب قوة و محبة لا حدود لها

إلى من بهم عرفت معنى الحياة

أخواتي

إلى كل من كانوا معي في طريق النجاح

إلى من تحلو بالوفاء و الإخاء

إلى صديقاتي سميرة و نسيمة

إلى كل من كان لي عونا و سندا فيإنجاز

هذه المذكرة أهدي عملي هذا.

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد.

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولا و آخرا.

ثم أتقدم بشكري الخالص و تقديري الكبير إلى الأستاذة المحترمة التي قبلت إشرافي على هذه الرسالة "وردة محصر" التي لـــــــم تدخر جهدا في مساعدتي و التي رعتني بتوجيهاتها عبر كل مراحل إنجاز هذه الرسالة.

دون أن أنسى أن أشكر الدكتور رئيس المشروع "محمد مرتاض" و الأستاذ المناقش أ. شيراني.

كما أثني شكري إلى كل من قدم لي يد العون في انجاز هذه المذكرة.

خطة البحث

الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم

فن الترسل بين ابن خلدن و ابن الخطيب

الرسائل المتبادلة في كتاب التعريف بابن خلدون أنموذجا

مقدمة

مدخل: النثر عند العرب

1. **مفهوم النثر**
   - **أ. لغة**
   - **ب.اصطلاحا**
2. **أشكال النثر عند العرب**
   - **الخطابة**
   - **الرسالة**

الفصل الأول: فن الترسل في الأدب المغربي

توطئة

أولا– أدب الرسائل في المغرب

1. **الترسل الديواني**

2. الترسل الإخواني

ثانيا– فن الترسل عند ابن خلدون و ابن الخطيب

1. عند ابن خلدون

2. عند ابن الخطيب

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية للرسائل المتبادلة بين ابن خلدون و ابن الخطيب

✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الشوق لابن الخطيب

✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الرد لابن خلدون

الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و السلام على سيدنا محمد و على آله الطيبين الطاهرين و بعده.

على الرغم من اهتمام بعض الدارسين المحدثين بالنثر المغربي ,إلا أنه يظل مجالا بكرا لا يزال نصيب كبير منه مهمشا بالنظر إلى النثر الفني في المشرق .و لعل ذلك ما شجعني للبحث في النثر الفني في بلاد المغرب الإسلامي عموما و فن الترسل على وجه خاص ,لا سيما و أننا ألفينا أن النمادج التي بين أيدينا لهذا الفن يستحق فعلا الاهتمام و هذا جديد بالدراسة و التحليل و انطلاقا من هذا حاولت في هذا البحث أن أعالجالأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم –فن الترسل عند ابن خلدون و ابن الخطيب– الرسائل المتبادلة بينهما في كتاب التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا–أنموذجا معتمدة على أهم الدراسات التي وجهت لهذا الموضوع معترفة سالفا بفضل هذه الدراسات ككتاب أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن الهجري للطاهر توات.

برز فن الترسل في الأدب المغربي عند ابن الخطيب كفن قائم بذاته يحمل في طياته القيم الفنية و الجمالية , و يعبر عن المشاعر بين الأفراد من تهنئة ,و شوق ,و مودة ,و غيرها و من أشهرالأدباء الذين برعوا في هذا الفن نذكر: ابن حزم الأندلسي، ابن شهيد، ابن زيدون وصولا إلى ابن الخطيب و ابن خلدون و من هذا المنطلق جاءت دراستي الموسومة ب :" الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم فن الترسل بين ابن خلدون و ابن الخطيب الرسائل المتبادلة في كتاب التعريف بابن خلدون نموذجا" حيث استحضرت رسالتين كنموذج للوقوف البنية التركيبية و الدلالية لفن الترسل في هذا العهد.

و لعل من أبرز الدوافع و الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ,هو دافع موضوعي غرضه الوقوف على أهم الميزات الفنية و الأسلوبية التي طبعت فن الترسل مـــن خلال رسالتي ابن الخطيب و ابن خلدون، و من هنا تطرقت إلى جملة من الأسئلة نذكر منها:

- هل لفن الترسل في الأدب المغربي خصائص تميزه عن نظيره في المشرق ؟
- *إذا* كان كذلك فما هي السمات المميزة لهذا الفن النثري ؟
- وإلىأي مدى تجلت فنية الرسالة عند ابن الخطيب و ابن خلدون؟

و قد اقتضى البحث الاعتماد على جملة من المصادر و المراجع نذكر منها:

1. البرهان في وجوه البيان لإسحاق ابن إبراهيم ابن وهب.
2. مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم لمصطفى البشير قط.
3. العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني، تاريخ الأدب القديم لحنا الفاخوري.

وقد ارتأيت أن أقسم بحثي إلى : تمهيد وفصلين، فأما التمهيد فكان نافذة على مفهوم النثر عند العرب ثم عرجت بعدها للحديث عن أشكال النثر عند العرب، فالفصل الأول الموسوم بفن الترسل في الأدب المغربي من حيث تعريفه و أعلامه و المراحل التي قطعها حتى أصبح فنا حاملا قيما جمالية و فنية يعبر عن طبيعة العصر لاختتم عملي هذا بدراسة تطبيقية لرسالتي ابن الخطيب و ابن خلدون مركزا على الخصائص الأدبية و الجمالية لهاتين الرسالتين ,و قد استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي لما تقتضيه طبيعة الموضوع .

و في الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بآيات الشكر و التقدير إلى كل من أسهم في إخراج هذا العمل المتواضع إلى صورته المكتملة.

23 جوان 2019 الغزوات

إيمان طالب

1. مفهوم النثر:

النثر هو أحد قسمي الأدب الرئيسيين الشعر و النثر بخلوه من الكثير من القيود التي يلتزم بها الشعر إلا أنه يلتزم بقيد سلامة اللغة و استقامة المعنى فهو لا يحكمه النظم الإيقاعي من وزن و قافية و في هذا الصدد يقول أبو حيان التوحيدي: «و من شرف النثر أيضا أنه مبرأ من التكلف. منزه عن الضرورة، غني عن الاعتذار و الافتقار، و التقديم و التأخير، و الحذف و التكرير، و ما هو أكثر من هذا مما هو مدون في كتب القوافي و العروض لأربابها الذين استنفذوا غايتهم فيها »[1]. و لقد ذكر النثر في القرآن الكريم قال الله تعالى: «إذا رأيتم حسبتهم لؤلؤا منثورا »[2]، و لم يقل لؤلؤا منظوما، و نجوم السماء منتثرة و إن كان انتشارها على نظام، إلا أن نظامها في حد العقل و انتشارها في حد الحس.[3]

أ. النثر لغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب: «النثر نترك الشيء بيدك ترمي بـــه متفرقا مثل نثر الجوز و اللوز و السكر، و كذلك نثر الحب إذا بذرو هو النثار و قد نثره بنثره نثرا و نثارا و نثره و انتثر و تناثر».[4]

---

[1]- أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع و المؤانسة**، ج2 تحق. أحمد أمين و أحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، د ط.د ت، ص 134.

[2]- سورة الإنسان الآية 19.

[3]- أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع و المؤانسة**، ج2 د الكتاب العربي دط 2005 ص 134.

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 5، د. صادر بيروت، د ط.د ت، ص 191.

و في قاموس المحيط: «نثر الشيء بنثره و ينثره نثرا و نثارا رمـــــاه متفرقا كنثره فانتثر و تنثر و تناثر، و النثارة بالضم و النثر بالتحريك ما تناثر منه أوأولى تخص بما ينثر من المائدة فيؤكل للثواب و تناثروا مرضوا فماتوا ...».[1]

أما الزمخشري فقد أعطى تعريفا للنثر بقوله: «النثر مصدر للفعل نثر بمعنى فرق فيقال نثر اللؤلؤ و غيره و قد انتثر و تناثر و در منثور و منثر و نثير كأن لفظه الدر النثيرو نثير الدر، و التقط نثار الخوان و نثارته و هو الفتات المتناثر حوله. و شهدت نثار فلان بالكسر و كنا في نثار فلان اليوم و هو اسم للفعل كالنثر و ما أصبت من نثر فلان شيئا و هو اسم المنثور من السكر و نحوه كالنشر بمعنى المنشور».[2]

من خلال هذه التعريفات نستنتج أن معاني التفرق و التشتت هي المسيطرة على مادة "نثر"، فالمعنى اللغوي يعني الشيء المبعثر.

ب.النثر اصطلاحا:

و نظرا لقلة اهتمام الأدباء قديما بفن النثر مقارنة باهتمامهم بفن القصيدة فإن الدارس «لم يجد تعريفا وافيا شافيا للنثر، و لذا فإن تعريفهم كان سطحيا و بسيطا و شكليا، إذ لم يعتمد على أسس علمية و نفسية، كتعريف الغربيين له و إنما كل ما في الأمر أن تعريفهم لم يخرج عـــن التقسيم و التصنيف».[3]

[1]- محمد بن يعقوب الفيروز أيادي، **قاموس المحيط** ، تحق. أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، د. الحديث، القاهرة ت ط 1429 هـ/ 2008 م، ص 1580.

[2]- الزمخشري، **أسرار البلاغة**، د ط. د ت، ص 954.

[3]- الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين 7 و 8 الهجريين**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، س 2010، ص 34.

فقد أطلق القدامى مصطلحات كثيرة على فن النثر أهمها: الكلام، المنثور، الكتابة ,والتي تبدو مختلفة من حيث دلالاتها «و إنما المقصود منه (أي من علم الأدب) عند أهل اللسان ثمرته و هي الإجادة في فني المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم».[1]

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحق درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د ط، 2005 م/1425 هـ، ص 553.

و في كتاب نقد النثر المنسوب لقدامى بن جعفر نجد تعريفه للنثر أكثر دقة «فليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا و لكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه»[1]، فمن خلال تعريفه هذا نستنتج أربعةأشكال نثرية مختلفة فيما بينها غير أن الخطابة و الرسالة هما الأكثر انتشارا.

أماأبو حيان التوحيدي فقد أعطى تعريفا للنثر في كتابه الإمتاع و المؤانسةمن خلال قوله: «النثر أصل الكلام و النظم فرعه و الأصل أشرف من الفرع و الفرع أنقص من الأصل لكن لكل واحد منهما رائنات و شائنات، فأما رائنات النثر فهي ظاهرة لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر، و إنما يتعرضون للنظم في الثانية بداعية عارضة، و لسبب باعث و أمـــر معين»[2]، و يقول أيضا: «إذا نظر في النظم و النثر على استيعابأحوالهما و شرائطهما، و الاطلاع على هواديهما و تواليهما كان أن المنظوم فيه نثر من وجه و المنثور فيه نظم من وجه، و لولا أنهما يستهمان هذا النعث لما ائتلفا و لا اختلفا».[3]

و قد انتقل ابن خلدون مـــن التعريف العام للنثر بأنه:"الكلام غير موزون" إلى تعريفه الخاص و إلى ما نسميه اليوم بالنثر الفني الذي فطن إليهأبو حيان التوحيدي من قبله، و هذا من خلال قوله:«و أحسن الكلام مارق لفظه، و لطفه معناه ... و قامت صورته بين نظم كأنه نثر، و نثر كأنه نظم».[4]

[1]- قدامى بن جعفر، **نقد النثر**، د. الكتب العلمية، بيروت، 1980 م- 1400 هـ، د ط، ص 93.

[2]- أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع و المؤانسة**، ج2، د. الكتاب العربي، بيروت، د ط 2005، ص 132-133.

[3]- المصدر نفسه، ص 34.

[4]- الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي**، ص 35.

أما ابن خلدون فقال: «و أما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا و منه المرسل و هو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا و لا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية و لا غيرها».[1]

و استنادا إلى تعاريف القدماء و المعاصرين للنثر نستطيع بداهة أن نقول: أن النثر هو القول أو الكلام الذي يصور العقل و الشعور و دون تقييد بالوزن و هو نوعان:

- **نثر علمي:**

و ميدانه الحقائق العلمية، و الأفكار الخالصة كالفلسفة و غيرهـا من العلوم اليقينية أو الدقيقة و القريبة منها كالرياضيات و الكيمياء و الطبيعيات و م ـــاشابه ذلك، و منه المقالات و البحوث و من عناصره الفكرة و اللفظ، و إن خالطه تشبيه أو تمثيل فهو لهدف أو لغرض التوضيح لا غير.[2]

- **نثر فني:**

و ميدانه بعث عواطف و التأثير الوجداني كالرسائل الوجدانية و الخطابة و الوصـــف الأدبي و من عناصره الفكرة و العاطفة و اللفظ و الخيال و هـو أيضاأنواع: منه المرسل و المسجع الذي تنتهي جمله بألفاظ تكون متقاربة في الروي و هي شبيهة بالقافية في آخر البيت الشعري، و منه النثر الشعري الذي يقرب من الشعر و هـذا لكثرة الصور و التشابه، و شيوع الإيقاع في تركيبه.

و من الملاحظ أن النثر المسجع و الشعر جزآن لا يتجزآن م ـــن النثر الفني، إذ بهما يتشكل و هذا على الأقل من الناحية الشكلية.[3]

[1]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 34.

[2]- المرجع نفسه ، ص 38-39.

[3]- المرجع نفسه، ص 39.

2. أشكال النثر عند العرب:

للنثر أجناس تختلف عن أجناس الخطاب الشعري و أجناس الخطاب النثري تكاد تنحصر عند النقاد العرب القدامى في جنسين عظيمين كان لهما ظهور متميز على المشهد النثري العربي القديم، و أعني بهما الخطابة بعدها ذات صيغة شفاهية تمثل البداوة و الرسالة بعدها ذات صيغة كتابية تمثل الحضارة.[1]

و يرجع سبب انصراف النقاد العرب عن الاهتمام بالأجناس النثرية الأخـــرى و اهتمامهم بالتنظير لجنسين نثريين فقط هما الخطابة و الرسالة إلى القيمة الوظيفية لهذين الجنسين النثريين إذ ارتبطت الخطابة غالبا بالغرض الديني بينما ارتبطت الرسائل و خاصة منها الديوانية بالغرض السياسي المتعلق بالدولة، فالخطابة و الرسالة على حد تعبير العسكري مختصان بأمر الدين و السلطان هذا فضلا عن المكانة الاجتماعية و الأدبية لكل من الخطيب و الكاتب.[2]

و الآن سنتحدث عن بعض الأشكال النثرية و هي: الخطابة، الرسالة

أ. الخطابة:

هي من أقدم الفنون النثرية و هي فن مخاطبة الناس بهدف إثارة عواطفهم.

✓ الخطابة لغة:

إن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة كما يقال: كتبت أكتب كتابة و اشتق ذلك من الخطب و هي الأمر الجليل، لأنه إن ما يقام بالخطب فـي الأمور التي تجل و تعظم، و الاسم منها خاطب مثل راحم، فإذا جعل وصفا لازما قيل خطيب كـما قيل فـي راحم و رحيم، و جعل

[1]- ينظر: مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه فـي النقد العربي القديم**، د. اليازوري العلمية للنشر، د ط، س 2009، ص 88.

[2]- المرجع نفسه، ص 89.

رحيم أبلغ في الوصف، و أبين في الرحمة، و كذلك لا يسمى خطيبا إلا من غلب ذلك على وصفه، و صار صناعة له.

و الخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام، و الضربة من الضرب (و الخطبة الكلام المخطوب به) فإذا جمعتها قلت خطب مثل جمعة (و جمع) و الخطبة اسم المخطوبة، و جمعها خطب مثل كسرة و كسر فأما المخاطبة فيقال منها: خاطبت أخاطب مخاطبة، و الاسم الخطاب[1]، و في قاموس المحيط:"الخطب، الشأن، و الأمر صغر أو عظم، ج خطوب، و خطب المرأة خطبا و خطبة".

و خطب الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح و خطبة بالضمو ذل.ك الكلام: خطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع و نحوه.[2]

✓ **الخطابة اصطلاحا:**

تعتبر الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدبالعربي، و "كانت ميادينهاو أغراضها متعددة تشمل الدين و السياسة و الاجتماع و العسكرية و نحو ذلك، و قد ألفت في ذلك الكتب مع وصف دقيق للخطيب و شروطه و فن الخطابة و شروطها أيضا، و قد عرف الجزائريون هذا النوع الأدبي عندما كان ساستهم يتحدثون لغة المواطنين و يحد قوتها، و عندما كان علماؤهم متمكنين من قواعد اللغة متمرسين على استعمالها منذ نعومة الأظفار، فإذا ارتجلوا بها القول أجادوا مع رباطة جأش و فصاحة لسان و قوة كلمة."[3]

[1]- سليمان ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، تحق. حنفي محمد شرق، مكتبة الشباب، القاهرة، د ط، 1969، ص 151-152.

[2]- محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ص 478.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، د.الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص 202.

و قد عرفت الخطابة بتعريفات كثيرة و من أقدم ما عرفت به تعريف أرسطو بأنها: «قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة »[1]، و منهم من عرفها بقوله: «هـي فن مشافهة الجمهور، و إقناعه و استمالته فلابد من مشافهة، و إلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، و لابد من جمهور يستمع و إلا كان الكلام حديثا أو وصية»[2]، و هذا يعني أن الخطابة تعتمد على المشافهة بغية إقناع المستمعين و إثارتهم.

و قد عرف الأدباء الخطابة في قولهم: « تقال على معنيين أحدهما: أنهاكالخطبة بضم فسكون اسم للكلام المنثور سجعا كان أو مرسلا و ثانيهما أنها إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أو مرسلا لاستمالة المخاطبين إلىرأيأو ترغيبهم في عمل و هذا ما يريدونه في قولهم: فلان يقوم على الخطابة، أكثر مما يقوم على الكتابة».[3]

فالخطابة هي فن مخاطبة الجماهير باستعمال الكلام البليغ «فلابد من الإقناع و ذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، و يؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده، ثم لابد م ـــــن الاستمالة، و المراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها، و يقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف شاء، سارا أو محزنا، مضحكا أو مبكيا، داعيا إلى الثورة أوإلى السكينة ».[4] إذا فإن الخطابة «مشابهة و جمهور، و إقناع و استمالة »[5]، و م ـــــن أوص ـــــاف الخطابة أنها «تفتح بالتحميد و التمجيد و توشح بالقرآن و بالسائر من الأمثال، فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها و تعظم به الفائدة فيها، و لذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله عز و جل في أولها البتراء و كل خطبة لا توشح بالقرآن و لا بالأمثال الشوهاء».[6]

---

[1]- أرسطو طاليس، **الخطابة الترجمة العربية القديمة**، تحق عبد الرحمن بدوي، د.القلم، بيروت، د ط، 1979، ص 9.

[2]- د.إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، د.الكلمة للنشر، القاهرة، ط5، 1437 هـ/ 2016 م، ص 14.

[3]- الشيخ علي محفوظ، **فن الخطابة و إعداد الخطيب**، د.النصر للطباعة الإسلامية، 1984، د ط، ص 14.

[4]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ط5، 1437 هـ -2016 م، ص 14.

[5]- المرجع نفسه، ص 14.

[6]- ابن وهب البرهان، **في وجوه البيان**، ص 153.

❖ **أنواع الخطابة:**

لقد قسم العلماء الخطبة إلىأنواع باعتبار الموضوع التي تتضمنه و من أنواعها:

- **الخطب السياسية:**

هي الخطب التي تلقى في شأن من شؤون الدولة أو الخاصة بتوجيه أمـور الدولة و الحكومة، سواء فيما يتعلق بأمور محلية داخلية أم بأمور دولية خارجية.[1]

و لهذه الخطب شأن كبير فإن عليها مدار حياة الأمة و رقيها ماديا و أدبيا، و العمل في الحرب و السلم، و نكون في الدول الدستورية الحرة سواء كانت جمهورية يديرها نواب الأمة، أم ملكية، يخضع ملكها للدستور فيملك على الدولة و لا يسوسها إذ الحكم فيها لنوابها و مثلها الولايات المتحالفة أو الممتازة في تدبير شؤوننا الخاصة، أما الدول ذات السلطة المطلقة فلا لأن زمام الأمر في يد الفرد يأمر و ينهي كما يشاء.[2]

و للخطب السياسية أيضاأنواع حيث كان لها «المكان الأول من بين أنواع الخطابة و لكثرة الخطب السياسية و تغلغلها في حياة الشعوب، و سيطرتها عـــلـــــى مصيرها تشعبت إلى شعب و انقسمت إلى»:[3]

- **الخطب الانتخابية:**

هي الخطب التي "يتقدم بها لتزكية نفسه، و مبادئه و مناهجه و الرد على خصومه، من يريد أن يكون نائبا عمن يخاطبهم، او يتقدم بها بعض أنصاره مزكيا داعيا إلى اختياره، رادا على الخصوم، ذاكر للمناقب، مبينا المصلحة التي تدعو إلـى ترجيح كتفه، و تأييد دعوته، و النجاح في هذه الخطب

[1]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ص 259.

[2]- الشيخ علي محفوظ، **فن الخطابة و إعداد الخطيب**، ص 82.

[3]- محمد أبو زهرة، **الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، د.الفكر العربي، ط2، 1980، ص 155.

له طرائق مسلوكة، و شروط معروفة، تحتاج إلى مهارة و لباقة، و دربه تامة بمخاطبة العوام و الخـــواص و الأوساط من الناس."[1]

- **الخطب النيابية:**

«هي التي تكون في دور النيابية، و تشمل خ ــطب الأعضاء معترضين عـــلـــى الحكومة، أو مؤيدين لها أو سائلين أو مستجوبين، أو متناقشين فيما بينهم، كما تشمل خطب ال .وزراء مجيبين أو معترضين، أو داعين إلى الموافقة على أمر».[2]

- **الخطب العسكرية:**

هــي التي "يلقيها قواد الجيوش قبل الحرب يحضون فيها الجند على قتال الأعداء، و الغاية منها إنهاض همم الجنود و إذكاء نار الحماسة فيهم و إثارة النخوة و الحمية و الإق ـــــــدام و تهوين الموت و تحسين التضحية في سبيل الشرف و الكرامة، و خطرها فكثيرا ما يتوقف عليها إحراز النصر، فإن الجندي إذا تحمس بقول الرئيس نشط للقتال و جاهد العدو غير مبال بالخطر حتى يفوز بإحدى الحسنين الظفر و الغنيمة أو الموت و الشهادة"[3]، و لهذه الخطب ثلاث صفات هي:

- **الأولى**: أن يلقيها الخطيب بحماس عظيم، و انفعال شديد ليجيز في نفوس السامعين ما في نفسه من الشجاعة و الحمية و النشاط.
- **الثانية**:أن تكون واضحة قريبة المنال يدركها الجند بسهولة.
- **الثالثة**:أن تكون موجزة لأن الحرب لا تدع مجالا واسعا للإطالة.[4]

[1]- محمد أبو زهرة، المرجع نفسه، ص 162.

[2]- المرجع نفسه،ص 155.

[3]- الشيخ علي محفوظ، **فن الخطابة و إعداد الخطيب**، ص 85.

[4]- المرجع نفسه، ص 85.ينظر

و من أمثال هذه الخطب: خطبة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جنده قبيل موقعة صفين و قد جاء فيها: «اعلموا أنكم بعين الله، و مع ابن عم الرسول صلى الله عليه و سلم، فعاودوا الكر، و استحيوا من الفر، فإنه عار في الأعقاب، و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيا سجحا *، و عليكم بهذا السواد الأعظم، و الرواق المطنب فاضربوا ثبجه*، فإن الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا و أحز للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق، و أنتم الأعلون و الله معكم، و لن يتركم أعمالكم».[1]

- **الخطب القضائية:**

و هي الخطب التي تلقى في مجالس القضاء"، أو في ساحات المحاكم و المرافعات أمام القضاء، و غالبا ما يلقيها رجال النيابة و المحامون، و هذا النوع من الخطابة قديم، عرفته الأمم القديمة و استمر إلى يومنا هذا. و الغرض منها تمييز الحق و تبرئة المتهم البريء، و حماية المجتمع من الجريمة، و لذلك يجب أن يتعاون القاضي و النائب و المحامي على إحقاق الحق و نصرة المظلوم و محاربة الجرائم".[2]

- **الخطب الدينية:**

قد عرفت أن "الوعظ الديني نوع من الخطابة العامة و فن من فنونها إلا أنه يتميز عن باقي أنواعها بشروط خاصة و طرق معينة و إن كان كل نوع من الأنواع المتقدمة كذلك شأن الأنواع المندرجة تحت جنس واحد و القدر المشترك الذي بيناه في أصول الخطابة يغني الخطيب إذا دعته الحاجة إلى مباشرة أي نوع من أنواعها".[3]

*- المشي السجع: السهل و المراد أن يسيروا إلى الموت بثبات و اطمئنان.

*- الثيج: الوسط.

[1]- محمد أبو زهرة، **الخطابة أصولها، تاريخها**، ص 211.

[2]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ص 267.

[3]- الشيخ علي محفوظ، **فن الخطابة و إعداد الخطيب**، ص 99.

و هي الخطب التي تعنى ببيان مبادئ الدين الإسلامي، و تعاليمه و أحكامه و دعوة الناس إليها، و تحذيرهم من غيرها، كما تهتم ببيان حكم الشرع الإسلامي في الأمور المختلفة، فهي أمر بكل معروف أرشد الإسلامإليه، و نهي عن كل منكر حذر منه، و هذا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يكون في جميع نواحي الحياة، و سائر شؤون الخلق المعاشية و المعادية.[1]

«فالخطب الدينية لها أهمية كبيرة بين أنـــواع الخطابة الأخرى فهي التي تربط الناس بالله تعالى و تهديهم إلى الطريق الصحيح حيث أن حياة الناس لا تستقيم بدون الوعظ الديني، و الدعوة إلى الخير، و التحذير من الشر، و لولا وجوده لاندرست معالم الدين و التبسعلى الناس الحلال بالحرام، فحاجة الناس إليه ملحة و دائمة، إذ الغافل محتاج إلـى م ـــن يذكره، و الجاهل مفتقر إلى من يعلمه، و المتذكر بحاجة إلى من يثبته و يؤازره، و العاصي أشد الناس احتجاجا إلى م ـــــن ينصحه و يقومه»[2]، و من هنا أوحيه الله عز و جل في قوله: «و لتكن منكم امة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون».[3]

- **الخطب المحفلية:**

و هي الخطب التي تلقى في المحافل "لتكريم أو تبيين أو تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية، و هـذا النوع من الخطب تتنوع موضوعاته بحسب المناسبة أو المقام الذي تلقى فيه، بل إن خطب المحافل يمكن ان تلحق بأي قسم من الأقسام السابقة، فإذا كانت في محفل سياسي كانت سياسية، و إذا كانت في صلح أو زواج، أو تختص بدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع و تلتمس لها العلاج كانت اجتماعية".[4]

[1]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ص 276.

[2]- المرجع نفسه، ص 276.

[3]- سورة آل عمران الآية 104.

[4]- إسماعيل علي محمد، المرجع نفسه، ص 276.

و للخطب المحفلية أنواع مختلفة ذكرها علماء الخطابة و هي كالتالي:

- **خطبة التكريم و المديح:** و هي "التي تقال ثناء على عظيم أو ذوي الفضل و مهمة الخطيب أن يبرز سمات عظمة المكرم و فضله".
- **خطبة التأبين:** و هي الخطبة التي تلقى على قبر الراحل العظيم أو المتوفى العزيز، أو في حفل تأبينه، أو ذكـــــرى وفاته، فيبين الخطيب عظيم الفجيعة فيه، و يعدد مناقبه و يجلى آثاره، و يواسي آله و أحبابه.
- **خطب الزواج:**و هي من الخطب المحفلية الاجتماعية، و يستحب فيها أن يكون الحديث عن الزواج، مـــا يتعلق به من أحكام و آداب و عن منهج الإسلامفي بناء البيت و الأسرة و كيفية الوقاية مـــن المشكلات الزوجية و علاجها، و تربية الأولاد، الدعاء للعروسين بالخير و البركة، و نحو ذلك من الموضوعات.
- **خطب الصلح بين المتخاصمين:** و هـــــــــي التي تلقى في محفل الإصلاح بـ ـــين فريقين أو طائفتين، و حصول الألفة و الوئام و الرفاء، ليصير الجميع إخوانا متحابين و هي من الخطابة المحفلية الاجتماعية، و البعض يلحقا بالخطابة القضائية، و يركز الخطيب فيها على إصلاح ذات البين، و حث الإسلام عليه، و التنفير مـ ـــــن العداوات و البغضاء، و القتال و سفك الدمـــاء، و الترغيب في العفو و التسامح و الصفاء، مدعما كلامه بالأدلة القرآنية و النبوية، و الشواهد التاريخية ، الأمثال و غيرها، حتى يلين الله به القلوب و يهدي به النفوس، و تنطفئ نار العداوات و البغضاء[1]، فهذه هي الأنواع التي يضمها فن الخطابة.

[1]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ص 274-275 بتصرف.

و لقد أشار أبو سليمان المنطقي إلى بعض خصائص الخطابة بعدها جنسا نثريا شفهيا فقال: «و أما بلاغة الخطابة فأن يكون اللفظ قريبا، و الإشارة فيها غالبة، و السجع عليها مستوليا، و الوهم في أضعابها سابحا، و تكون فقرها قصارا و يكون ركائها شوادر ابل».[1]

إن موضوعات الخطابة كثيرة و متنوعة و لقد أشار بعض النقاد إلى ذلك "فمن موضوعاتها في الجاهلية إصلاح ذات البين، و إطفاء نار الحرب، و حمالة الدماء و التسديد للملك، و التأكيد للعهد، و في عقد الأملاك ... و فـي الإشادة بالمناقب و بكل ما أريد ذكره و نره، و شهرته بين الناس و هي موضوعات نستطيع أن نرجعها إلى موضوع واحد ذي طبيعة اجتماعية تتصل بحياة العرب الاجتماعية في ذلك العصر.

و في العصور الإسلاميةأصبح موضوع الخطابة دينيا، يهدف في بداية الدعوة إلى الدعاء إلى الله عز و جل ثم تنوعت موضوعات الخطابة حينما ارتبط الدين بالسياسة في إطار الدولة الإسلامية لتعدد موضوعاتها، من سياسية، و ملحمية و استدلالية[2]. و ذلك ما عبر عنه العسكري حينما ربط بين الدين و السلطة و رأأن الخطابة و الكتابة «مختصتان بأمر الدين و السلطان».[3]

لاشك أن الخطابة "منصب خطير، و مرتقى صعب المنال، لا يصل إليها طالبهابيسر بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم، و صبر و معان ـــاة و احتمال للمشاق ليصل إلى تلك الغاية السلمية"[4]، و للخطابة إذن طرق في تحصيلها «أولا بقوى النفس الغريزية أو الطبع و ذلك هو الأساس، ثانيا معرفة الأصول التي وضعها الحكماء، ثالثا بمطالعة تأليف البلغاء و مصاقيع الخطباء»[5].قال ابن أثير في المثل السائر: "إن في الاطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم و المنثور

[1]- أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع و المؤانسة**، ص 141.

[2]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 97-98.

[3]- أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، د ط. د ت، ص 136.

[4]- محمد أبو زهرة، **الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، ص 23.

[5]- لويس شيخو البياسوعي، **علم الأدب في علم الخطابة**، مطبعة الآباء، بيروت، ج2، ط3، 1926، ص 12.

فوائد جمة، لأنه يعلم منه أغراض الناس" رابعا الارتياض * و الاحتداء* لأن الخطابة ملكة نفسية لا توجد دفعة واحدة بل لابد لطالبها من الممارسة و **المران** كي تنمو مواهبه."[1]

و للخطابة فوائد جمة قال ابن رشد ناقلا عن أرسطو: «ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معه البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها، و ذلك إما لأن الإنسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحق، فإذا سلك نحو الأشياء التي نشأ عليها سهل إقناعه و إما لأن فطرته ليست معدة لقبول البرهان أصلا، و إما لأنه لا يمكن بيانه له في ذلك الزمان اليسير الذي يراد منه وقوع التصديق فيه فهذا الصنف الذي يراد اعتناقه، لأنها تسلك من المناهج مالا يسلك المنطق»[2]، و هذه أول ثمرة من ثمرات الخطابة، و للخطابة فوق ذلـــك ثمرات كثيرة، فهي التي تفض المشاكل، و تقطع الخصومات، و هي التي تهدي النفوس الثائرة، و هـ ـــي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، و هي التي ترفع الحق، و تخفض الباطل، و تقيم العدل، و ترد المظالم و هي صوت المظلومين و هي لسان الهداية و لأمر ما قال موسى عليه السلام عندما بعثه ربه تعالت حكمته إلى فرعون: "رب اشرح لي صدري، و يسر لي أمري و حلل عقدة من لساني يفقه قولي"، و لا يمكن أن ينتصر صاحب دعايـة و مناد بفكرة، و صاحب إصلاح إلا بالخطابة.[3]

«و من هنا كان للخطابة فضل كبير، و شرف عظيم، لمالها مـ ـــن غايـة عظيمة و سامية، و هـــي الأخذ بيد الناس إلى طريق الهدى و الحق، و الوصول بهم إلى السعادة في الدارين، و العلوم و الصناعات، إنما تشرف بشرف غايتها، و تسمو بسمو أهدافها».[4]

---

*- الارتياض: هو التدريب على الخطابة.

*- الاحتداء: أن يعمد الطالب إلى أساليب المتقدمين فينسج على منوالها.

[1]- الشيخ علي محفوظ، **فن الخطابة و إعداد الخطيب**، ص 17 -بتصرف-.

[2]- محمد أبو زهرة، **الخطابة، أصولها تاريخها في أزهر عصورها**، ص 21.

[3]- المرجع نفسه، ص 21-22.

[4]- إسماعيل علي محمد، **فن الخطابة و مهارات الخطيب**، ص 20.

ب. الرسائل:

تعد الرسالة شكلا من أشكال النثر حيث كان لها شأن عظيم في الأدب و هي اسم مشتق من «راسل يراسل مراسلة، و يطلق على الكلام الذي يراسل به مـن بعد و غاب و اشتق منه اسم الترسل، و منه سمي صاحبه "مترسل" و هو من عرف بهذا الفن و اشتهر به».[1]

و الترسل في اللغة بمعنى: "الترسل من كلمة رسلك فالراء و السين و اللام (ر.س.ل) جذر تتفرع منه ألفاظ تتبعها معان و دلالات".

رسل الرسل: القطيع من كل شيء و الجمع إرسال و الرسل الإبل، و الر سل القطيع، و إذاأراد الرجل إبله منقطعة قيل: أوردها إرسالا، و الترسل و الرسـل: الرفقة و التؤدة و يقال: افعل كذا و كذا على رسلك أي اتئد فيه و الترسل كالرسل. و الترسل فـي القراءة و الترسيل واحد قيل و هو التحقق بلا عجلة و قيل: بعضه على إثر بعض و الترسل في قراءته اتأد فيها، يقال: ترسل الرجل في كلامه و مشيه إذا يعجل ... و الترسل من الرسل في الأمور و النطق كالتمهل و التوقر و التثبيت.

و الرسول بمعنى الرسالة و معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذين بعثه، أخذ م ـن قومهم ... و نثر مرسل لا يتعد سجع و ترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلا مـن غير سجع و أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد و راسله في عمله، تابعه فيه.[2]

أما في معجم مقياس اللغة لابن فارس نجحد تعريف الترسل على النحو التالي:

"رسل: الراء و السين و اللام أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث و الامتداد، الرسل: السيل، السهل ...".

[1]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 118.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب، مادة (ر.س.ل)**، ج1، ص 51.

و الرسل ما أرسل من الغنم إلى الرعيو الرسل: اللبن و قياسه ما ذكرناه لأنه يترسل من الضرع و من ذلك حديث طهفة بن أبي زهير النهدي * حين قال: "و لنا وقير كثير الرسل قليل الرسل" يريد بالوقير الغنم، يقول إنها كثيرة العدد، قليلة اللبن، و الرسل القطيع ها هنا ...و المراسلات الرياح.[1]

و استنادا إلى كتاب نقد النثر لقدامى بن جعفر نجد تعريفه للترسل في قوله: "و الترسل من ترسلت أترسل ترسلا، و أنا مترسل، كما يقال توقفت بهم أتوقف توقفا و أنا متوقف، و لا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل، كما لا يقال تكسر إلا فيمن تردد عليه اسم الفعل في الكسر، و يقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل يرسل إرسالا و هــو مرسل و الاسم الرسالة، أو راسل يراسل مراسلة و هو مراسل و ذلك إذا كان هو و من يراسله قد اشتركا في المراسلة و أصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل و الرسالة من ذلك."[2]

ويدل تعريفه هذا على ان الترسل مهنة لا يتقنها إلا مـن كانت قدمه ثابتة في الأدب و أن تكون له معرفة تمكنه من احتراف هذه المهنة.

- المعنى الاصطلاحي:

تعد الرسائل من الفنون النثرية التي وجدت منذ أقدم العصور، ذلك أن الإنسان بطبعه يميل إلى الاتصال بالآخرين و التخاطب معهم، و "قد ظهر فن الترسل عند العرب منذ العصر الجاهلي، إلا أن أول ما وردنا من هذه الرسائل و كتاباتها و كتابها ك ـــان على عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، و الرسائل كباقي الفنون الأدبيةالأخرى، نشأت بعد ولادة طبيعية نشأة مميزة، و تطورت تطورا

* – طهفة بفتح الطاء صحابي جليل وفد على الرسول (ص) في وقت بني نهد.

[1] – أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحق.عبد السلام محمد هارون، ج2، د.الفكر للطباعــة و النشر، د ط، 1399 هـ -1979 م، ص 392-393.

[2] – إسحاق ابن إبراهيم بن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، ص 152.

حثيثا في مواضيعها و أنواعها و أصولها الفنية، حتى غذت فنا قائما بذاته، بل أصبح كل نوع منها له أصوله و فنونه المتعارف عليها التي لا يخرج عنها."[1]

و الترسل هو فن أدبي قديم جدا قد اتخذ معنى كتابة الإنشاء و في ذلك يقول القلقشندي: «فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، و ترتيب المعاني: من المكاتبات و الولايات و المسامحات و الإطلاقات، و مناشير الاقطاعات و الهـــــدف و الأمانات و الإيمان، و ما في معنى ذلك ككتابة الحكم و نحوها».[2]

و قد عرفت الرسالة في العديد من المصادر فـفـي موسوعة اصطلاحات الفنون و العلوم بقوله: «الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير و خصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية و الفرق بينها و بين الكتاب على مـــا هو المشهور إنما بحسب الكمال و النقصان فالكتاب هو الكامل في الفن و الرسالة غير الكامل فيه».[3]

و الرسالة هي « ما يكتبه امرؤ إلىآخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة و تكون بهذا المعنى موجزةلا تتعدى سطورا محدودة، و ينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته، بلا تصنع أو تأنق، و قد يتوخى حينا البلاغة و الغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع».[4]

و هذا يعني أن الرسالة هي وسيلة يتخذها الناس للتعبير عن أمورهم و لتبادل الآراء بينهم.

---

[1]- المجلة الزرقاء للبحوث و الدراسات الإنمائية، العدد 1، د.عمر أحمد الربيحات، أحمد غالب الحزشة، **رسائل الحرب في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، س 2015، ص 150.

[2]- أبي عباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج1، د.الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 1340 هـ /1922 م، ص 54.

[3]- محمد علي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم**، تحق. علي تحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996، ج2، ص 860.

[4]- جبور عبد النور، **المعجم الأدبي، د.العلم للملايين**، بيروت، ط1، 1979، ص 122.

و أخيرانقول أن الرسالة هـي فن «من فنون النثر القولية، عرفها العرب منذ القدم و هي مثل فنون النثر الأخرى (القصة، المسرحية، السيرة الذاتية ...) لها خصائصها المميزة التي تجعلها فنا قائما بذاته».[1]

❖ أنواع الرسائل:

احتلت الرسائل في كل عصر حيزا كبيرا من اهتمام الأدباء و الموظفين و الأصدقاء و الأحباء، و من العادة ان تقسم الرسائل إلى رسمية ، ديوانية، و إخوانية.[2]

- **الرسائل الديوانية:**

الرسائل الديوانية هي تلك «الرسائل المختصة بمصالح الأمة و قوام الرعية و معنى هذا أنها تختص بتصريف شؤون الدولة كما أنها كانت تمتاز بالوضوح و الجمال الفني، كما كان لابد لكاتبها من أن يلم الماما كبيرا بأنواع من المعارف أهمها العلوم اللسانية و الفقهية بالإضافةإلى براعته البلاغية».[3]

و تسمى هذه الرسائل أيضا«بالرسائل السلطانية و هي الرسائل الأدبية الصادرة عن الحكام و السلاطين أو عن دواوين إنشائهمإلى الذين يضارعونهم في المنزلة أو شارة الحكم».[4]

و قد قال الأستاذ أحمد الشائب في حق هذه الرسائل: «هي ما تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشؤون الدولة و صوالحها، تيسيرا للعمال و تثبيتا للنظام العام، و يغلب على هذا النوع

---

[1]- حسن علي محمد، **التحرير الأدبي دراسات نظرية و نماذج تطبيقية**، مكتبة العبيكان، الريـاض، ط1، 1417 هـ/1996 م، ص 151.

[2]- أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، د. الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 188.

[3]- الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي في ق 7 و 8 للهجريين**، ص 165.

[4]- محمد مسعود جبران، **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية)** ، ج1، د.المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص 103.

الدقة و السهولة في التعبير، و التقيد بالمصطلحات الحكومية و الفنية، و المساواة في العبارة و البراءة من التهويل و التخييل».[1]

و لقد تناولت الرسائل الديوانية موضوعات مختلفة تتعلق بأعمال الدولة يقول شوقي ضيف: «و من ينظر نظرة عامة في موضوعات الرسائل الديوانية لهذا العصر يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة و ما يتصل بها من تولية الولاة، و أخـــــــذ البيعة للخلفاء و ولاة العهود و من الفتوح و الجهاد و مواسم الحج و الأعياد و الأمـــــــان و أخبار الولايات و أحوالهما في المطر و الخصب و الجدب، و عهود الخلفاء لأبنائهم و وصاياهم و وصايا الـوزراء و الحكام في تدبير السياسة و الحكم».[2]

يتضح لنا مما سبق ان الرسائل الديوانية كانت لها قيمة كبيرة في الأدب باعتبارها «وثائق مهمة تكشف لنا عن بعض مظاهر التنظيم الإداري و القضائي و المالي، و أدب الراعي و الرعية».[3]

- **الرسائل الإخوانية:**

تسمى هذه الرسائل أيضا بالرسائل الوجدانية و هـــــي «الرسائل التي تصور عواطف الأفراد و مشاعرهم، من رغبة و رهبة و مــن مديح و هجاء و مــن عتاب و اعتذار و استعطاف، و من تهنئة و استمناح و رثاء أو تعزية».[4]

[1]- محمد مسعود جبران، المرجع نفسه، ص 103.

[2]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**، د.المعارف، القاهرة، ط8، د ت، ص 468.

[3]- فايز عبد النبي فلاح القيسي، **أدب الرسائل في الأندلس**، د.البشير للنشر، ط1، 1409 هـ/1989 م، ص 278.

[4]- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 491.

و يقصد بهذه الرسائل: «الرسائل الأدبية التي **يدبجها** المبدعون إلى أهلهم أو ما يماثلهم في المنزلة من الإخوان و النظراء في غرض من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية في مجلى فني متميز يحلو عواطفهم و أحاسيسهم».[1]

فالرسائل الإخوانية إذن هي التي يتم تبادلها بين الأهل و الأحبابو تتضمن أمور مختلفة سواء خاصة أو عامة.

و لقد تعددت موضوعات هذه الرسائل «حيث جمعها صبح الأعشى في سبعة عشر نوعا منها: التهاني، التعازي، و العتاب و الشكوى و الاعتذار و الاستمناح و الشكر و ما إلى ذلك من الموضوعات و هي على تعددها تنتج في مجموعتين أولها: الرسائل الاخوانية شبه الرسمية، و هي تلك الرسائل التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين الكاتب و المخاطب، أي أنها تلك الرسائل التي يتبادلها الخليفة أوالأميرأو الوزير مع من دونه في المنزلة الاجتماعية في أمور خاصة و ثانيتهما: الرسائل الإخوانية الذاتية، و هي التي تتناول ما يدور بين الأصدقاء من عتاب و شوق و عزاء و ما إلى ذلك من العواطف»[2] فالغاية من هذه الرسائل كلها هي التواصل بالاعتماد على طريقة الكتابة.

[1]- محمد مسعود جبران، **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب**، ص 203.

[2]- فايز عبد النبي، **أدب الرسائل في الأندلس في ق 5 هـ، د.البشير للنشر**، ط1، 1409 هـ/1989 م، ص 100.

➢ **تطور أدب الرسائل:**

إن العامل الأساسيالأهم و الذي كان وراء نشأة أدب الرسائل و تطوره تطورا كبيرا إنما هو الإسلام، و ما تبعه م ـــــن الفتوحات و التي أدت بدورها إلىإحداث تطورات في الميادين السياسية و الاجتماعية و الثقافية و غيرها، و ذلك نتيجة الامتزاج بين الشعوب المجاورة للعرب و غيرها. إن وجود الكتابة الفنية و تطورها و من ضمنها أدب الرسائل إنما هو ثمرة من ثمرات الإسلام و حضارته، لأن الظروف اقتضت منذ بداية ظهور الإسلامإلى استخدام الرسائل، فهذا ال نبي (ص) يراسل أوليالأمر في الداخل و الخارج للدخول في الدين الجديد، و كان من الطبيعي أن يستخدم كتابا يملي عليهم ما يوحي إليه، و حسب إحصاء جديد فإنه استخدام قرابة خمسة و أربعين كاتبا و هؤلاء خلفاؤه من بعده يستخدمون كتابا، و يملون عليهم من الطبيعي ما يهم شؤون المسلمين و حياتهم. و سارت الأمور هكذا إلىأن أسسالأمويون ديوان الرسائل من ضمن الدواوين الأخرى في عهد معاوية بن سفيان ثم تطور الديوان، و تطور أدب الرسائل ذلك التطور الذي عرفناه عليه في القرن الرابع.[1]

و عليه فقد أصبح للرسائل قيمة كبرى في المجتمع الإسلاميو لاسيما الرسمية منها و هذا نظرا لدورها المهم في تنظيم الحياة الدينية و الدنيوية للمسلمين، و لهذا كله فإننا قد وجدنا الكثير منذ القديم ممن اهتموا بهذا النوع من الفنون النثرية، حيث أعطوا له تلك القيمة الكبرى في مجال نقدهم، إذ راحو يخصصون مؤلفات كانت قد شاركت بصفة فعالة في الموضوع و في نفس الوقت كانت مجدية في حركة النقد بصفة عامة، و في نقد النثر بصفة خاصة و ك ـــــان محررها الرسائل بشقيها الرسمي و الأدبي.[2]

[1]- ينظر :الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي في ق 7 و 8 هـ**، ص 79.

[2]- المرجع نفسه، ص 80.

و لقد ذهب الأدباء و النقاد قديما للحديث عن فن الرسائل و الخطابة «حيث لاحظ هؤلاء بأن هناك علاقة وثيقة بين الفنين على مستوى الشكل و الموضوع، و في هذا يقول أبو هلال العسكري: و اعلم أن الرسائل، و الخطب متشاكلتان، و الخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة ...و ما يعرف أيضا من الخطابة و الكتابة أنهما مختصان بأمر الدين و السلطان و عليهما مدار الدار».[1]

و يعتقد أن الرسالة بعدها وسيلة التخاطب، فإنها تبدو بديلا عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبان أثناء الحوار على نحو ما يظهر ذلك مثلا في الخطابة بعدها جنسا نثريا شفاهيا، سوى أن المخاطب في الخطابة حاضر مرئي يتوسل لإقناعه و التأثير فيه و جذب انتباهه بوسائل إشارية أخرى غير اللغة، في حين أن المخاطب غائب في الرسالة بعدها جنسا نثريا كتابيا، أما فيما سوى ذلك من خصائص فنية، فإن جنس الرسائل يشبه جنس الخطابة، و قد نص على ذلك أبو هلال العسكري: «و اعلم أن الرسائل و الخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية، و قد يتشكلان أيضا مـــن جهة الألفاظ و الفواضل فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة و العذوبة، و كذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل».[2]

رغم هذا التشابه فإننا لا ننكر وجود اختلافات بينهما و هذه الاختلافات " تقتضيها طبيعة الأشياء، و ظروف الإلقاء و الكتابة، و العوامل النفسية التي يعتمد عليها الخطيب في استمالة السامعين و اجتذابهم، و التحدث إلى الجماعات في الخطابة، على حين أن الكاتب يقرأ على انفراد، و هو لا يواجه القارئ إلا بما كتب و لهذا فإنه لا نكران أن للأسلوب الخطابي من الشروط ما لا يطلب حصوله في أسلوب الكتابة أو الرسالة."[3]

[1]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 82.

[2]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 119.

[3]- المرجع نفسه، ص 119.

توطئة:

إن الأدب لهأهمية كبيرة داخل كل مجتمع ذلك لأنه يعكس الواقع الذي يعيشه ك ـــل مجتمع. و قد ظل المغرب العربي–منذ الفتح الإسلاميإلى اليوم– يربط مصيره بمصير الشوق العربي الذي هو امتداد له يتأثر به و يؤثر فيه، و لو تأملنا، في جزئيات الثقافة العربية في بلدان المغرب العربي من حيث جوهرها و مظهرها لما وجدنا فرقا كبيرا. و أما الصلة التي كانت تربط بلاد المغرب ببلاد الأندلس فقد كانت أم تن حبالا، و أوثق عرى. و ذلك بحكم الرقعة الجغرافية و التاريخ المشترك، فكلمة مغرب كانت إلى وقت طويل تعني الشمال الإفريقي و الأندلس و المغاربة هم الذين فتحوا الأندلس، و هم الذين عمروه، بل هم الذين أعادوا فتحه في عهد المرابطين و في عهد الموحدين ثم في عهد المرنيين، حتى أصبح ذلك البلد جزء من بلاد المغرب العربي، و هنا يظهر فضل المغاربة التاريخي على تلك البلاد التي نافست المشرق فيما بعد، بل تفوقت عليه في مجالات كثيرة و أنت اليوم لا تكاد تقرأ ترجمة لعالم أو أديب أندلسيأو مشرقي إلا وجدت له جذورا ضاربة في تربية البلاد المغربية من خلال رحلة لطلب العلم أو لنشره، و قد حدثنا التاريخ عن هجرات جماعية و فردية قام بها العلماء و المفكرون و الأدباء الفنانون و المؤرخون و الأمراء و الملوك ثم الشعر حصل على إثرها تلاقح ثقافي و فكري و علمي بين أهل المغرب العربي و الأندلسيين من جهة و بينهم و بين المشارقة من جهة أخرى، و بذلك يكون الجميع قد أسهموا في بناء الثقافة المغربية التي كان الشرق نبعها الصافي الـــــذي نهل المغاربة منه و علوا حتى نبغوا في مختلف العلوم و الفنون، و خاصة في الفن و الأدب و شعره و نثره.[1]

[1]–مجلة العلوم الإنسانية، العدد 33، **الاتجاهات الفنية في الأدب المغربي القديم**، جانفي 2014م، عبد القادر شريط، ص 413.

و قد تميز الأدب المغربي بكونه أدب أصيل حيث اعتبره الأدباءأثناء الاستعمار سلاح يواجهون به المستعمرين و لذلك اعتبر أدب كفاح و مقاومة غير أنه لم يلقى اهتماما كبيرا بل همش في العالم العربي و يرجع عبد الله كنون سبب هذا الإهمال و التهميش إلىالأدباء المغاربة لأنهم ضيعوا ماضيهم و لم يهتموا بحاضرهم حيث قال: «و قد كثر عتب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إياهم، و إنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم، و لكن أعظم اللوم في هذا مردود على أولئك الذين ضيعوا أنفسهم و أهملوا ماضيهم و حاضرهم حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم و التقول عليهم، و هو مغدور و حسبه أنه لم يقصر تقصيرهم بل سعى فأخفق و لا غيب على من بلغ جهده. و نحن نعتقد أننا بتقديم هذا الأثر الضئيل إلى الدوائر العلمية ستزيل كثيرا م ـن التوهم و التظنن في تاريخ المغرب الأدبي و سنرفع حجاب الخفاء عن جانب مهم من الحياة الفكرية لأهل هذا القطر، و سوف ينقضي تجني إخواننا من بحاث الشرف على آثارها و تحاملهم على أدبائنا لأن ذلك لم يكن منهم عن عمد و سوء قصد و إنما هو ارتياد و اجتهاد »[1]. و هذا يدل على أن الأدب المغربي يحتاج إلى أن نحي ماضيه و نحافظ على حاضره.

إن ما يعرف عن النثر العربي القديم «هو ذلك الإيقاع الموسيقي ال ذي يمكن النفس من الاهتزاز، و الإطراب به و هذا الإيقاع هو ما تنشئه تلك الحروف التي تحتم بها الفواصل و التي تتحد في أكثر من جمل و من ثم كان هناك ضرب من النثر الفني الذي قاله الخطباء والحكماء العرب، و كان ما يعرف بنثر سجع الكهان، و لما كان الإسلام يخالف هذا الصنف الأخير، و يمجه فقد فك أسر الجملة العربية ليس من الحروف السجعية المقبولة التي نجدها حتى في القرآن الكريم، و لكن في المعاني المستنتجة من هذه الجملة التي تتطلب جهدا ذهبيا مركزا يفوق المعقول أحيانا للوصول إلى القصد المراد، و هذا يعني أن البديع في سجع الكهان لا يعني الفواصل وحدها بقدر ما يعني كذلك أضرب الأناقة و الزخرفة التي تثقل بها العبارة المعبر بها، و التي تقصد لغاية التأثير في المستمع، و

[1]- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ط1، الكتب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، دت، ص 31-32.

الاستحواذ على عقله، و فكره، و لما كان هذا الأسلوب –أسلوب التأثير– مطلوبا في مواقف كلحظة التحميس لخوض المعركة مثلا فإن المقابل التي يعني الإفهام مطلوب كذلك».[1]

كما كانت "ظروف الحياة تقتضي استمرار الأسباب و تواصل الذات و كانت الدعوة نفسها تأخذ بالعامل التعبيري كوسيلة من وسائل التبليغ و عاملا من عوامل الرد و التحدي، كان هذا الموروث النثري الضخم يحاول الطفو على الخيمة الشعرية، ثم كان هذا النهج الإسلامي الجديد الذي يقتضي وضع مـــــا يخص هذا المجتمع في قوانين و مراسيم و يلزم برسم نمط الحياة في مختلف مجالاتها و أطوارها لما كان هذا هو أمر الدعوة و كانت الكلمة النثرية وسيلة من وسائلها كان ما لوحظ عن عمومها و بروزها محددة خير تحديد عند شكري فيصل في: «... إن رصد الحياة الأدبية في صدر الإسلام حيث كانت الفتوحات الإسلامية في ذروتها من التألق و الامتداد و النظر الخاص إلى تطور كل من الشعر و النثر يضعنا أمام صورة واضحة لاتجاه معاكس يسير فيه كل من هذين الفنين سيرا منفردا متوحدا».[2]

«فبينما يبدو الخط البياني الذي يرسمه النثر الفني، يمضي صعدا، متدرجا نحو الغايات البعيدة مقتربا منها، لا ثنية عقاب، و غنما تتعاون على نمو كـــــــل مظاهر الحياة الاجتماعية و السياسية و العلمية و تشارك جميعا في ازدهاره الفني يبدو الخط البياني الذي رسمه الشعر، يمضي منحدرا في شيء من الضمور و الانكماش».[3]

و يقول أيضا شكري فيصل: «و لعل الخلاف الكمي هو الذي قاد إلى هذه المخالفة الكيفية فإذا نحن لا نشهد نمو الشعر على مثل ما شهدنا من نمو النثر».[4]

[1]–د العربي دحو **الأدب العربي في المغرب العربي**، ، ص 172–173.
[2]– المرجع نفسه، ص 164.
[3]– شكري فيصل **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للهجري**، دار "العلم للملايين"، بيروت، ط4، 1978م، ص 357–358.
[4]– المصدر نفسه، ص 358.

هذه نظرة شكري فيصل إلى« نثر ما بعد الإسلام كيفا و كما نظرة حاول صاحبها في الموطن الذي اعتمدناه تجاوز آفاق الجزيرة لأنه كان يتمثل صورة الأدب في العالم الإسلامي الذي منه الجزء الذي نتحدث عنه، و كان يرسم لهذا الأدب خطة البياني في حقله الشعري و النثري و انتهى إلى ما أقررناه هما في المجالين، و إلى ما هو أبعد من ذلك إذا ما وددنا الإحاطة أكثر، و ذلك ما هو غير ممكن هنا، على أننا نرى أن الاستئناس برأي فيصل "هذا" إنما يسمح لنا فقط باعتماده كحكم دقيق لما يخص المنطقة المشرقية من العالم الإسلام بل لما يخص ديار الإسلامالأولى و ما يحيط بها. أما ما عدا ذلك فإننا في ديار المغرب الإسلامي لا نشاطره في ما عزم عليه في الفقرتين، و في غيرهما لأسبابأساسها طبيعة الفتح الذي عرفته المنطقة و التي شذ فيها عن بقية الجهات، أما المجتمع الذي يوجه له فنون النثر التي انتشرت في المشرق على هذا العهد بشكل مدهش، هذا المجتمع الذي لا يهضم اللغة التي يخاطب بها خلال الفتح، و لا يستوعب مضامين النص الخطابي، أو الرسالة، أو الوصية كما هو الحال عند المشارقة أهل اللسان المبين»[1].

و هذا يعني –بالضرورة– إلى جانب سيادة النثر، و أخذ مكانة فاقت مكانة الشعر في أحيان كثيرة —يعني– توجيه النثر وجهة أخرى ليس في مضامين لأن ذلك من تحصيل الحاصل لحكم الموضوعات الجليلة، و لكن في مبناه و يمكن أن يوجز بعض هذه السمات الجديدة مجاراة لمن تقدمنا –بعد هذه التوطئة– و استنتاجا من النصوص السابقة في الإيجاز الذي ظـــــل أساس البلاغة العربية و ما يزال يتوافقه، و تلائمه مع هذه اللغة الفنية الراقية التي لا تشاركها أي لغة من لغات العالم ميزتها المتعددة التي استهدفت بسببها في مختلف العصور و الأزمان، ثم الوضوح: «وضوح العبارة، و وضوح الفكرة، وضوح العبارة للهروب من الشاذ، و الناذر، و الغريب، ... و لعل ارتجال هذه النصوص —في الأغلب– هو الذي قاد إلى تحقيق هذا الوضوح غير المخل بالمعنى —طبعا– و بالبناء الفني للعبارة. أما وضوح الفكرة فلأن الموضوعات التي تناولها المحدثون معروفة من جهة، و لأنها جهة أخرى شغل الناس كلهم ثم —أخيرا– لأنها تستوحي من القرآن الذي هو القاسم المشترك الأعظم بين كل الفئات

[1]– العربي دحو**الأدب العربي في المغرب العربي منذ النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية**، ص 165-166.

الاجتماعية تلاوة، و دراسة، و تدريسا، و حفظ، و رواية، و نقلا ... فكان –نتيجة لذلك– أن خرجت تلك الجملة السجعية التي كانت تحكم في قوالبها أحكاما دقيقا يتجاوز أحيانا حد الإسراف في الضعة المزخرفة لها من أعناق الزجاجات التي اعتمدت لقولبتها، و بذلك تمكن النثر الفني العربي من ترك بصمات واسعة، واضحة مكشوفة على مخ تلف العلوم، و الفنون في العالم، و استطاع أن يحمل هذا التراث عبر العصور و الأجيال و أن يحمي من التشويه، و التحريف و المسخ إلى يوم الناس هذا، و منه هذا الذي نما في ديارنا هذه، ديار المغرب العربي الإسلامي».[1]

تميز النثر عند الأدباء المغاربة في بداياته البساطة و خلوه من التزويق و التنميق كالجناس و السجع.

إن الأدباء و الكتاب ببلدان المغرب و الأندلسكانوا يتتبعون كل خطوة لأدباء الشرق و كتابه، فهم يقلدونهم في نماذجهم الأدبية، و التي تعود إلى القرن الثاني و الثالث و الرابع و الخامس و السادس. فمثلا وجدنا من كتاب بلدان المغرب، و في مرحلة مبكرة جدا من قلة المدرة الجاحظية و زعيمها على قيد الحياة، و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على الأقل على سرعة تنقل أخبار المشرق إلى المغرب، و هذا على الرغم من طول المسافة الفاصلة بينهما، و طبيعة السفر و المشاقة و ليس غريبا في هذا، إذ إن تنقل الأشخاص بين المغرب و المشرق و العكس كان دائما مستمرا، و لم يحدث أن انقطع و لاسيما أن دافع الرحلة أو التنقل كان دينيا و ثقافيا بالدرجة الأولى و على رأسه هذا من جهة الحج مثلا.[2]

و من الذين تأثروا بالطريقة الجاحظية و اتبع أسلوبه و منهجه و حتى ألفاظه و عباراته نجد الحصري في كتابه "زهرة الآداب و ثمرة الألباب" حيث يقول هذا: «و بعد، فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر، و الخبر، و الفصول، و الفقر، مما حسن لفظه و معناه، و استدل بفحواه على مغزاه، و لم يكن شاردا حوشيا، و لا ساقطا سوقيا، و هو كتاب يتصرف

[1]– د العربي دحو**الأدب العربي في المغرب العربي**، ص 173-174.

[2]–د الطاهر توات**أدب الرسائل في المغرب العربي**، ص 49.

الناظر فيه من نثره إلى شعره، و مطبوعه إلى مصنوعه، و محاوراته إلىمفاخرته، و مناقلته إلى مساجلته، و خطابه المبهث إلى جوابه المسكت، و تشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة، و أوصافه الباهرة إلىأمثاله السائرة و جده المعجب إلى هزله المطرب، و جزله الرائع إلى رقيقه البارع"، و كل فقرات المقدمة يصوغها الحصري على هذا النمط أو على هذه الصياغة المذكورة، و نعني بها الصياغة المشابهة للصياغة الجاحظية، و يبدو واضحا أن عدم تكلف الحصري للسجع جعله أقرب إلى الجاحظ منها إلى ابن العميد، و مع هذا فإنه كان متأثرا بهذا الأخير في استخدامه للسجع و في جمله القصار».[1]

[1]- ، دكتور الطاهر توات**أدب الرسائل في المغرب العربي**، ص 49.

أولا– أدب الرسائل في المغرب:

أدب الرسائل هو ذلك «الفن الأصيل الذي كاد أن يختفي بل و اختفى تماما على ما يبدو بعد أن كان من أجمل الألوانالأدبية فيما مضى حيث الرسائل المتبادلة بين الشعراء و الأدباء ك ـــان و لا يزال رافدا مهما و ثريا من روافد الأدب العربي، تلك الرسائل احتلت منزلة رفيعة عند الناس بمختلف مستوياتهم الثقافية و الفكرية بما امتازت به هذه الرسائل من خصائص فنية أدبية جعلتها رمزا أدبيا مستقلا بذاته و لذلك شدت الرسائل الأدبية اهتمام المهتمين الذي نشطا في جمعها توثيقها خوفا عليها من الاندثار. هذا ما يجعل الكثير من الرسائل الخاصة ترى النور و تخرج إلى عالم النشر ليطلع عليها الجميع بالرغم من خصوصيتها و الأسلوب الشخصي و المباشر فيها إلا أنها كانت تمتلك عنصر الإبهار و الدهشة حيث الكلمات بعيدة عن التصنع و التعقيد أماالآن و للأسف لم تعد للرسائل تلك الأهمية و لا تلك المنزلة الرفيعة فقد دم ـــــــرت التكنولوجيا الحديثة ح ـــــس الإبداع و التذوق عند الأغلبية ففي عصرنا الحاضر صار العالم قرية صغيرة واحدة تصل فيها الرسالة بسرعة البرق و باختصار و بكلمات خاوية من المشاعر و الإبداع و حتى الصدق و الصراحة و الفضفضة الجميلة ما أدىإلى سقوط أدبي و سقوط الذوق العام و الحس الأدبي في كل حرف نسطره بل نطبعه على الشاشات المضيئة انطفئت شعلة البيان و الإبداع و بردت العلاقات الإنسانية التي كانت تقوى بالتعبير و البوح الجميل و الشكوى بين الإخوة و الأحبة و قد كتب أحد الأدباءفي ذلك يقول عن الرسائل بين زمنين: لقد كانت الرسائل فيما مضى فضاء رحبا للإنسان، يعبر بها عن همسات روحه، و ما يعتلج في صدره من مشاعر و أحاسيس، و يتبادل الأفكار و الرؤى مع مراسيله، و تتعانق على صفحاتها المهج و الأرواح، لقد كانت ميدانا فسيحا لأب بمحض النصح ولده النائي عنه في ديار الغربة، و لأم مشتاقة إلى فلذة الفؤاد و ق ـــــد أطال الغيبة و البعاد، و

لزوج يحن إلى شقيقة حبانه و دفء عقلها و لصديق يتوق إلى أحضان صباه و رفقاء دربه، ودع عنك رسائل المحبين و العشاق فهي جمرا أشواق تكاد تضطرم».[1]

تعتبر الرسائل شكلا من الأشكال النثرية غير السردية «لأنه نقل للذات و ترجمتها بالكتابة الأدبية، و هي ذلك التواصل الثقافي و الفكري بين الثقافات الأخرى و المجتمعات المختلفة، فيكون ذلك التواصل السياسي و الأدبي بين المرسل و المرسل إليه، و يشترط في المرسل أن يكون قادرا على استخدام التعابير الموافقة للمحور المعني، لأن محور الرسالة عنصر لاختيار نوعية الأسلوب، و طرق الصياغة و المادة المعجمية، فتختلف الاختيارات باختلاف المحاور، و الموضوعات التي تدور حولها هذه الرسائل، و قد عرفت منذ القديم، فتنافس الكتاب فيها لنيل أعلى المراكز الحكومية، و المراتب العليا، و قـــد احتاج الناس إليها للتواصل فيما بينهم و لقيت اهتماما من الأدباء و النقاد القدامى و المحدثين، و كل عرفها على طريقته».[2]

و قد عرفت الرسائل على أنها: «قطعة مـــن النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب و غرضه و أسلوبه، و قد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، و قـــد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يتشهد به من شعر غيره و تكون كتاباتها بعبارة بليغة و بأسلوب حسن و شيق و ألفاظ منتقاة و معاني طريفة »[3]، و تسمى الرسالة أيضا بالمكاتبة و هي «مخاطبة الغائب بلسان القلم و فائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها ترجمان الجنان، و نائب الغائب في قضاء أوتاره ... و طريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب و المكتوب إليه و النسبة بينهما».[4]

[1]- زهرة السيد، **أدب الرسائل**، جريدة الشرق، 2013/10/20.

[2]- حكيمة إملولي، **الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم "العهد الموحدي نموذجا"ن إشراف علي عليا**، جامع الحاج لخضرن باتنة، 2009/2008، ص 71.

[3]- عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، د.النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص 448.

[4]- أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج1، ط27، 1969، ص.

و لم تختلف تعاريف الكتاب و الأدباء أن أدب الرسائل فن نثري قديم الوجود يعبر عن شخصية الأديب و ما يجول في خاطره و قد تعددت مواضيعه و أغراضه و كانت عبارة عن وسيلة تواصل بين المرسل و المرسل إليه، و من خصائص هذا الفن: احتواؤه على مقدمة في الغالب نمطية (الحمدلة و البسملة و الصلاة على النبي) سواء أكانت دينية أم لا غير أنها في هذا العهد المعروف بكثرة تعاطي المحسنات البديعية قـد عرفت نوعا من الإطالة و الاستغراق، في حشوها بألوان السجع و الجناس لإظهار البراعة الأدبية و جلب اهتمام القارئ، و لذلك لم تظل الصورة الفنية حكرا على الأنماط الشعرية، بل كانت حاضرة أيضا في فنون أخرى نثرية كالرسائل، و بشكل خاص الرسائل الإخوانية –غير الدينية– لما تتركه هذه الأخيرة من مساحات كافية للتعبير عن العواطف و الخواطر، مما أثر أسلوبيا في بعض النصوص التي أصبح فيها استهلاك القول غاية مقصودة.

تنوعت خواتم الرسائل سواء كانت ديوانية أوإخوانية غير أنها لم تخرج في الغالب عن مضامين من التهنئة و الدعاء و الثناء، و ذلك على اختلاف أنواعها.

إن الرسائل الإخوانيةبالإضافةإلى قيمتها الأدبية تحمل أخبارا عن حياة المؤلف و اهتماماته الشخصية، في حين أن الرسائل ذات الصبغة الدينية تعكس المستوى الفقهي و الفكري لأصحابها، أما الرسائل الديوانية فتظل ذات قيمة مرجعية سياسيا و تاريخيا في التعريف و الكشف.

إن بعض الرسائل الدينية التي انتهجت المق.دمـــــة النمطية مفتتحا لها (البسملة و الحمدلة و الصلاة على النبي صلى الله عله و سلم) فاستغرق أصحابها في الاستهلال بمجموعة م ـــن الحكم و المواعظ الدينية الإصلاحية و الإرشادية قد حملت خصائص الخطابة التي جعلتها بكل ما حملته من أساليب وعظية و اقناعية و قيم دينية و تربوية تصلح لأن تكون خطبا دينية إذا ما توفر لها عامل الإلقاء.[1]

[1]– نورية بن عدي **الأدب في العصر الزياني الثاني (749/952هـ)**، ، إشراف محمد مرتاض، جامعة تلمسان، 2010، ص 303-304 بتصرف.

يقول عمر عروة: «إذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم فإن خير ما تستهل به سلام الله عليك أما إذا كانت موجهة لغير المسلم فإن ما نستهل به هو السلام على من اتبع المدى و تأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل، فإني "أحمد الله"أو "أحمد إليك الله إلي لا اله إلا هو" و قد يردد فيها ذكر التشهد أيضاأو يكتفي فيها بعبارة أما بعد »[1]. هذه بعض خصائص فن الترسل أما ما يجب أن يكون عليه كاتب الرسائل فقد جمعها ابن خلدون في مقدمته بقوله: «و اعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس و أهل المروءة و الحشمة منهم، و زيادة العلم و عارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك و مقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب و التخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه في الترسيل و تطبيق مقاصد الكلام من البلاغة و أسرارها».[2]

أما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطات في اختياره و انتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة و أحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب و هي: أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، و حاطكم و وفقكم و أرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه أجمعين، و مـن بعد الملوك المكرمين أصنافا، و إن كانوا في الحقيقة سواء، و صرفهم في صنوف الصناعات، و ضروب المحاولات، إلىأسباب معاشهم، و أبوابأرزاقهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات، أه ـــــــــــــــل الأدب و المروءات و العلم و الرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها و تستقيم أمورها، و بنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، و تعمر بلداتهم و لا يستعفي الملك عنكم، و لا يوجد كاف إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، و أبصارهم التي بها يبصرون، و ألسنتهم التي بها ينطقون، و أيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم، و لا نوع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم.

[1]- عمر عروة، **النثر الفني أبرز فنونه و أعلامه**، القصبة للنشر، دط، دت، ص 33.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة دار يعرب**، دمشق، ط1، 2004، ص 430.

و ليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة و خصال الفضل المذكورة المعدودة منكم.

أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج في نفسه، و يحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره، أن يكون حليما في موضع الحلم، فهيما في موضع الحكم، مقداما في موضع الإقدام، محجما في موضع الأحجام، مؤثرا للعفاف و الـــــعـدل و الإنصاف، كتوما للأسرار، وفيا عند الشدائد، عالما بما يأتي م ـــــن النوازل، يضع الأمور مواضعها و الطوارق في أماكنها. قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله و حسن أدبه و فضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، و عاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته و عتاده، و يهيء لكل وجه هيئته و عادته.

فتناغسوا-يا معشر الكتاب- في صنوف الآداب، و تفقهوا في الدين و ابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل، و الفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، و اروا الأشعار، و اعرفوا غريبها و معانيهاو أيام العرب و العجم، و أحاديثها و سيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ، و لا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج.

و ارغبوا بأنفسكم عن مطامع سنيها و دنيها، و سفساف الأمور و محاقرها، فإنها مد له للرقاب، مفسدة للكتاب، و نزهوا صناعتكم عـــن الدناءة و اربؤوا بأنفسكم عن السعاية و النميمة، و ما فيه أهل الجهالات.

و إياكم و الكبر و السخف و العظمة، فإنها عداوة مجتلبة، مـــن غير إينة و تحابوا في الله عز و جل في صناعتكم و تواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل و العدل و النبل من سلفكم.

و إن **نبا** الزمان برجل منكم، فاعطفوا عليه و آسوه حتى يرجع إليه حاله، و يثوب إليه أمـــره و إن أقعد (أحدا منكم) الكبر عن مكسبه و لقاء إخوانه، فزوروه و عظموه و شاوروه، و استظهروا بفضل تجربته و قديم معرفته.

و ليكن الرجل منكم على من اصطنعه و استظهر به ليوم حاجته إليه أحوط علولـــــده و أخيه فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها إلا كصاحبه و إن عرضت مذمه فليحملها هو من دونهن و ليحذر الشقطة و الزلة و الملل عند تغير الحال.

فإن العيب إليكممعشر الكتاب أسرع منه إلى القراء، و هو لكم أفسد منه لهم، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه يجب له عليه من حقه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه، و شكره، و احتماله، و خيره و نصيحته و كتمان سره، و تدبير أمره، ما هو جزاء لحقه، و يصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه، و الاضطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في خالة الرخاء، و الشدة، و الحرمان، و المواساة، و الإحسان، و السراء، و الضراء فنعمت الشيمة* هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة.

و إذا ولي الرجل منكم أو صير إليه مـــــن أمر خلق الله و عياله أمر فليراقب الله عز وجل، و ليؤثر طاعته، و ليكن على الضعيف رفيقا، و للمظلوم منصفا، فإن الخلق عيال الله، و أحبهمإليه أرفقهم بعياله، ثم ليكن بالعدل حاكما و للإشراف مكرما، و للفيء مفرا، و للبلاد عامرا و للرعية متألفا و عن أذاهم متخلفا، و ليكن في مجلسه متواضعا حليما، و في سجلات خراجه، و استقضاء حقوقه رفيقا، و إذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها و قبحها، أعانه على ما يوافقه من الحسن و احتال (على صرفه) عما يهواه من القبح بألطف حيلة و أجمل وسيلة.

و قد علمتم أن سائس البهيمة، إذا كان بصيرا سياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها، إذا ركبها و إن كان شبوبا اتقاها من بين يديها، و إن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، و غن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها، فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها، و في هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس و عاملهم و جربهم و داخلهم.

* – الشيمة: السمة.

و الكاتب بفضل أدبه، و شريف صنعته، و لطيف حيلته، و معاملته لمن يحاوره مـــن الناس و يناظره و يفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق لصاحبه و مداراته و تقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، و لا تعرف صوابا، و لا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها.

ألا فارقوا رحمكم الله في النظر، و اعملوا ما أمكنكم فيه من الروية و الفكر، تامنوا بإذن الله، ممن صحبتموه النبوة و الاستثقال و الجـــفـــوة و يصير منكم إلى الموافقة، و تصيروا منه إلى المؤاخاة و الشفقة إن شاء الله.

و لا يجاوزن لرجل منكم في هيئة مجلسه و ملبسه و مركبه و مطمعه و مشربه و بنائه و حذمه و غير ذلك، من فنون أمره قدر حقه فإنكم مع فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير، و حفظة لا تحتمل منك أقفال التضييع و التبذير، و استعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم و قصصته عليكم، و احذروا متالف السرف و سوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر و يذلان الرقاب و يفضحان أهلها و لاسيما الكتاب و أرباب الآداب.

و للأمورأشباه و بعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتنف *أعمالكم بما سبقت إليكم تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، و أصدقها حجة، و احمدها عاقبة، و اعلموا أن للتدبير آفة متلفة، و هو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه و رويته، فليقصد الرجل منكم في مجله قصد الكافي من منطقة، و ليوجز في ابتدائه و جوابه، و ليأخذ بمجامع حججه، فإن ذلك مصلحة لفعله، و مدفقة للتشاغل عن إكثاره، و ليضرع إلى الله في صلة توفيقه، و إمداده بتسديده، مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه و قله و أدبه.

* – مؤتنف: ما لم يجرب.

فإنه إن ظن به منكم ظان، أو قال قائل: إن الذي برز من جميل صنعته، و قوة حركته، إنما هو بفضل حيلته، و حسن تدبيره، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز و جل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، و ذلك على من تأمله غير خاف، و لا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور، و أحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته، و مصاحبته في خدمته، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره، و أي أن صاحبه أعقل منه و أحمد في طريقته و على كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه م ـــن غير اغترار برأيه، و لا تزكية لنفسه، و لا يكاثر على أخيه أو نظيره، و صاحبه و عشيره، و حمد الله واجب على الجميع، و ذلك بالتواضع لعظمته، و التذلل لعزته، و التحدث بنعمته.[1]

إذن هذه هـــــــي شروط كاتب الرسائل حسب ابن خلدون أي يجب أن يكون متمكنا و متسلحا بألوان العلوم المختلفة كما يجب عليه أن يراعي ظروف و أحوال الطبقات التي يكتب إليها و مدى استعابهم و مستواهم الفكري و في هذا الصدد يقول ابن قتيبة: »و يستحب له أيضا أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب و المكتوب إليه، و أن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، و لا رفيع الناس وضيع الكلام».[2]

❖ أنواع الترسل:

لقد عمد الأدباء و النقاد على تقسيم الرسائل إلى نوعين: الديوانية (السلطانية) و الإخوانية (الأهلية) فإذا كانت الرسائل الديوانية هي «التي تصدر عن دواوين الدولة و تتناول تصريف أعمال الدولة و ما يتصل بها من تولية الولاة، و أخذ البيعة للخلفاء و ولاة العهود، و مـــن الفتوح و الجهاد و موسم الحج و الأعياد و الأمان و أخبار الولايات و أحوالها في المطر و الخصب و الجدب و عهود

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص 431-432-433-434-435.

[2]- ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تحق: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، ط4، 1963، ص 14.

الخلفاء لأبنائهم و وصاياهم، و وصايا الوزراء و الحكام في تدبير السياسة و الحكم »[1]، كما تضمنت هذه الرسائل آيات قرآنية و أبيات شعرية ليبرز الكاتب معرفته و ثقافته في المجالات المختلفة.

فإن الرسائل الإخوانية و لكـــم ـــا تسمى أيضا بالرسائل الأهلية فهي التي تتبادل بين الإخوة و الأقارب و الأصدقاء تحمل مشاعر و عواطف كاتبها فقد عرفها أحمد بدوي في قوله: «هي شعر غنائي منثور، يجد فيها كاتبها متنفسا حرا عن عواطفه لا يقيده فيها وزنا و لا قافية، و هي من أقرب فنون النثر إلى الشعر و هي تعبير عن عاطفة شخصية».[2]

1. الترسل الديواني:

تعتبر الرسائل الديوانية «أقدم وثيقة تاريخية تطلعنا على أه ـــــــــم جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية في المغرب و الأندلس إذ بها تحدد العلاقة بين الحاكم و المحكوم و تبلغ بها أوامر الدولة و نواهيها، كما تعطي صورا واضحة عن قضايا العصر سواء كانت العلاقة مع الرعية أو مع البلدان المجاورة في حالتي السلم و الحرب، و بها تبلغ الانتصارات في المعارك، كما تدعو إلى الجهاد و القضاء على الفتن و النيل من المتمردين الخارجين عن الطاعة، ثم ارتفت إلى أن أصبح يتعين بموجبها القضاة و العمال و الولاة و غيرهم من ذوي المناصب الرفيعة يكلفون بها مهامهم و هـ ـــــــــي تحوي وصايا و نصائح تعينهم على ما أسند إليهم من وظائف، بالإضافةإلى أنها صدى لمختلف الأحوال الاجتماعية».[3]

و بما أن الرسائل الديوانية وسيلة إعلامية فهي ضرورة حتمية للاتصال و التبليغ لاسيما أن مناحي الحياة متعددة و ظروف الدولة تختلف من حاكم إلى غيره و من عصر إلى آخر، مما أدىإلى تعدد الرسائل و التي أصبحت فنا قائما بذاته يتنافس حوله الكتاب، فكثرت الرسائل و كثرت أقلامها من أفذاذ الكتاب و حملة لواء الأدب و الخيال.

---

[1]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 124.

[2]- أحمد بدوي، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، دط، 1996، ص 580.

[3]- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92هـ/897هـ)**، دط، دت، ص 201.

ثم إذا كانت الرسائل الديوانية واجهة رسمية في تحديد العلاقات و وسيلة دعائية إعلامية ك .ان و لابد أن يكون منشئها من أهل البراعة و الفطنة، فكما قال الخطيب أن «أهل الأندلس كانوا كثيروا الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه و لا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل و الطعن عليه و على صاحبه، " لذا نجد أن الكتاب كانوا يخضعون لمقاييس دقيقة في اختيارهم للكتابة الديوانية، فهم لا يغفلون عن خلقه و عن ملكته و عن أدبيته، و هـ ـــــــذا دليل واضح على اعتناء الحكام بالكتابة و الكتاب دون أن ننسى ما كانت تحققه الكتابة من سلطان لصاحبها إن أجاد فهي توصله إلى الحجابة و إلى الوزارة كابن عبدون، و ابن عطية و ابن الخطيب و غيرهم »[1]، و لقد كانت الرسائل الديوانية قطعة نثرية ممزوجة بين الحقيقة و الخيال تتميز بالسهولة و البساطة لأنها خالية مـــن القيود، و مـــــن أنواع الرسائل الديوانية «رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو و يزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، و اعتمدت هذا الرسائل على المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث ع ـــــن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه و إعلاء شأنه كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين من ثواب و نعيم في الدارين »[2]، كما تشمل الرسائل التي يكتبها الملك أو الوزير إلى ملك آخر قصد التعزية أوالتهنئة و تشمل أيضا كل ما له علاقة بأمور الرعية و الولاة و القضاة.

[1]- سامية جباري ، المصدر نفسه، ص 202.

[2]- فوزي سعد عيسى، **الترسل في القرن الثالث هجري**، دار المعرفة الجامعية، ص 18.

➢ **أهم موضوعات الرسائل الديوانية:**

تنوعت مواضيع الرسائل الديوانية «كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية، و قد مالت كتب المبايعات إلىالإطناب و التطويل، و كان الكاتب يستهلها بالتحميد و كثيرا ما يطيل في تحميده حتى ليشبه خطبة دينية قائمة بذاتها».[1]

و من الموضوعات التي تضمنتها الرسائل الديوانية: البيعة، الاعتذار، الشفاعة، التهاني، الشكر، و غيرها من المواضيع.

أ. البيعة:

يهتم هذا النوع من المواضيع بالحالة السياسية الدينية لأن البيعة من المواضيع السياسية التي تعتمد على الدين يقول ابن خلدون: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، و أمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكره، و كانوا إذا بايعوا الأمير و عقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع و المشتري فسمى بيعة، مصدر باع، و صارت البيعة مصافحة بالأيدي هذا مدلولها في عرف اللغة، و معهود الشرع، و هو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة و عند الشجرة، و حيثما ورد هذا اللفظ و منه بيعة الخلفاء »[2] لذا نجد كل رسائل البيعة موجهة من الأسفلإلىالأعلى شأنا.

و أهم ما تشمل عليه رسائل البيعة أركانها و شروطها و تعزز بنصائح و وصايا و تكون فيها الإشارةإليها كطريقة تأديتها، و هي إمـــا أن تكون عهد يلزم به المبايع له مع الله، أو تكون قسما، أو صفقة يمين، نص بيعة عبد الكريم بن يحي صاحب عدوة الأندلس للحكم المستنصر عقب رمضان سنة ثلاثه و ستين و ثلاثمائة 363هـ بمحضر من علماء البلد و فقهائه، و أهل الفضل منهم الذين

[1]-فوزي سعد عيسى، المصدر نفسه، ص 24.

[2]- **أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين 7 و 8 الهجريين**، الطاهر توات، ص 166-167.

ألزموا أنفسهم الطاعة و التزموا الإيمان المؤكدة: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب بيعة عبد الكريم بن يحي و جماعة الأندلس بني عمه من أهل حاضرة فاس، كتبوه وثيقة و حجة على أنفسهم و اشهدوا الله و ملائكته، و أنبياءه و رسله، و أولي العلم من خلقه، و من حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا الله عز و جل و الإمام العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين، و ألزموأأنفسهم طاعة ليولوا من والاه، و يعادوا من عاداه، و ينصروا من نصره ... و ختمت البيعة بالتذكير بالوفاء بالعهد على أن يطيعوا أمير المؤمنين و جعلوا ذلك عهدا على الله ... و أن لا تتم ديانتهم إلا بالتصحيح لإمـــامهم و إتباعأم ـره و الوقوف عند نهيه، فعند أدائهم الطاعة يسلم لهم دينهم و دنياهم، و آخرتهم و أولاهم، و من نكث فإنما ينكث على نفسه، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما»[1]، فقد تضمنت هذه الرسالة العديد من المصطلحات الدينية التي توحي بأن البيعة تتعلق بأمر الدين.

و من أمثلة رسائل البيعة نجد رسالة أبي القاسم العزفي التي كتبها إلى الخليفة المرتضي الموحدي و قد تضمنت هذه الرسالة المشاكل التي تتعرض لها مدينته –سبتة– يقول: «و إلى هذا و إلى الله سعودكم، و حرس وجودكم، فقد تقدم خطاب معظمكم في هذه الأيام، بذكر ما هدى الله تعالى من الاعتصام، بالدخول في دع ـــوة الحق، و الركون لحرم الإمامة التي ارتضت الخالق قياما بمصالح الخلق، و تقرير ما كان، في تكميل البيعة السعيدة مـــــــــن العمل المرجو بحسبه عموم الصلاح و شموله، و التأسيس لمبانيها على الإخلاص، الذي لا ينفع الله بعمل مـــــــــا لم تكن هذه السبيل سبيله، و الاعتماد فيها على إقامة رسم الدين، الذي لا يشوبه عرض، و لا يتعلق بما اتجه فيه، من الأغراض الدينية للدنيا غرض، إذ كان أيمن الأعمال فاتحة و عاقبة و أدراها بأن لا تزال السعادة له مصاحبة ما تمخضت فيه لإدارة وجه الله تعالى الطويات، و فضت دونه الأطماع الدنيويات و لاسيما و الحضرة الكريمة العلية المرتضية التي سني للنفوس من الاعتلاق بحبلها ما ارتحبه ...».[2]

[1]– سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92ه/897ه)**، دط، دت، ص 97.

[2]– الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب في القرنين 7 و 8 للهجريين**، ص 167-168.

شملت هذه الرسالة على معاني دينية مأخوذة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و من الإجماع كذلك فمثلا معنى "الاعتصام" مأخوذ من الآية القرآنية: "واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا" و هذا يدل على التمسك بالدين الحنيف و عدم تفرق المسلمين فكل جمل الرسالة متشبعة دينيا.

ب. الاعتذار:

الاعتذار من الفعل اعتذار أي طلب الصفح و السماح و رفع الذنب عن نفسه، «يعد الاعتذار آية من آيات الوفاء و الصداقة و المودة بين المتراسلين، و في هذا اللون من الرسائل يعتذر الكاتب للمخاطب عن تقصير حدث منه و يحاول التقرب منه و استدرار عطفه و محبته و عفوه».[1]

و ينبغي على كاتب هذه الرسائل «أن يتجنب فيها الإسهاب و الإطناب في التماس الأعذار، و إمعان الكاتب في تبرئة ساحته من التقصير و الإساءة، و عليه أن يورد ما يتوهم أنه مقنع في إزالة لموجدة».[2]

و من أمثلة هذا النوع من الرسائل رسالة كتبها لسان الدين ابن الخطيب عن سلطان الأندلسإلى سلطان فاس ليعتذر منه عن هروب الأميرأبي الفضل المريني "المقام الذي شهد الليل و النهار بأصالة سعادته، و جرى الفلك الدوار بحكم إرادته، ... فنحت نهنيكم بمنح الله و مننه و نسأله أن يلبسكم من إعاشه أو جننه، فأملنا أن نطرد آمالكم، و تنجح في مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التي يدفع العدو بسلاحها، و تنبلج ظلمات صفحاها، و كيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود، و بآفاقنا تطلع منه السعوه، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت و اكتفت، و ديمه* بساحة الود قد وكفت، و الله عز و جل يجعل لكم الفتوح عـــــادة،

[1]- فايز عبد النبي فلاح القيسي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ص 102.

[2]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 126.

*- ديمه: الديم: المطر الدائم.

و لا يعدمكم عناية و سعادة، و هو سبحانه يعلى مقامكم، و ينصر أعلامكم، و يهني الإسلامأيامكم، و السلام الكريم يخصكم، و رحمة الله و بركاته.[1]

لقد اعتمد لسان الدين ابن الخطيب في رسائله على القرآن من اقتباس و تضمين و تميز أسلوبه بالتنوع و حسن اختيار الألفاظ و كثيرا ما كانت رسائل الاعتذار تختتم بالدعاء.

ت.العهود:

العهد رسالة ديوانية يدبجها كاتب الرسائل على لسان الحليفة لمن اختاره لولاية الخلافة من بعده، و تعرف حينئذ "بعهد الولاية" و تكتب أحيانا على لسان الخليفة أوالأميربالأم ـــــان لثائر أو خارج على الدولة، أو لدولة مجاورة زالت أسباب الخلاف معها، و تعرف حينئذ "بعهد الأمان" [2]، و كان الكتاب و هم يكتبون مثل هذه العهود ينتهجون أسلوبا خاصا، و ينتقون معاني تتماشي مع طبيعة هدف العهد المتميز عن غيره من الرسائل الديوانية.

فقد كـــــان الكاتب يبدأ بالنص على العهد كما تقدم، ثم يتدرج إلى بيان الصفات الكريمة و المناقب العظيمة التي تجمعت في ولي العهد، فاستحق بها ولاية العهد، و من ذلك ما جاء في عهد الخليفة سليمان بن الحكم بالخلافة من بعده لولده: «إن محمد بن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة بولاية عهد المسلمين غير محاب له و لا أخذ بهوادة فيه، بل لما قد علمته الخاصة و العامة من تكمل خلال الخير، و اجتماع أدوات الفضل فيه، و ما هو عليه في دينه و هديه و روعه و فضله، و طهارة أثوابه، و عفاف مذهبه، و صلب نفسه، و اكتمال حلمه، و سعة علمه، و كمال أدبه، و اضطلاعه بأعباء الخلافة، و معرفته بمعاني السياسة، و نفاذه في التدبير و الإدارة »[3]، فهذا النوع من الرسائل تتمثل في ذكر الصفات و الخصال الحميدة التي يمتاز بها ولي العهد.

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب**، تحق: إحسان عباس، ج5، دار صادر بيروت، 1968م، ص 315.

[2]- فايز انبي فلاح القبسي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5 الهجري**، ص 117.

[3]- المصدر نفسه، ص 117-118.

ث. التوقيعات:

هي من الرسائل الديوانية، تملى مباشرة على الكاتب و هي كما أشارإليها الكلاعي بقوله: «عدلوا فيه عن التطويل و التكرار إلىالإيجاز و الاحتضار، و هي عبارة عن جواب يكتب عادة في ظهر الرسالة الواردة إلى الديوان و تتصف بالبساطة و البعد عن التكلف أو التعقيد و يكون جوابا سريعا يتضمن قولا مأثورا أو آية قرآنية أو حديثا نبويا، كما يتضمن الشعر و الأمثال [1]، و هي تلك التعليقات التي كـــــان يرد بها أمراءالأندلس على بعض الرسائل و الشكاوي التي كانت ترفع إليهم، و قد مالوا فيها إلىالإيجاز و البساطة في التعبير، و الابتعاد عن التعقيد و التكلف»[2] و قد تكون هذه التوقيعات آية قرآنية تتناسب مع الموضوع كما قد تكون بيتا شعرا أو مثلا و يشترط فيها الإيجاز و الإقناع فقد يأتي التوقيع في جملة أو جملتين تفي بالغرض.

و قد احتفظت بعض المصادر بعدد من توقيعات أمراءالأندلس، و من ذلك التوقيع الذي كتبه الأمير عبد الرحمن الأوسط على رسالة رفعها أحد السعاة إليه، بأن زرياب المغني لم يعظم في عينه ذلك المال الذي أعطاهالأمير له، و أعطاه في ساعة واحدة، فوقع : «نبهت على شيء كنا نحتاج التنبيه عليه و إثمار زقه نطق على لسانك، و قـــــد رأينا أنه لم يفعل ذلك، إلا ليحببنا لأهل داره، و يغمرهم بنعمنا، و قد شكرناه، و أمر ناله بمثل المال المتقدم، ليمسكه لنفسه، فإن كان عند لك في حقه مضرة أخرى فارفعها إلينا».[3]

[1]- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس**، ص 114.

[2]- فايز عبد النبي فلاح القيسي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5 الهجري**، ص 116.

[3]- المصدر نفسه، ص 116.

ج. الفتوحات:

هي من الرسائل الديوانية «و تعتبر كما قال القلقشندي من أهم المكاتب خطرا، و أجلها قدرا لاشتمال أغراضها على انجاز وعد اله تعالى الذي له أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين، و تشتمل هذه الكتب على ذكر همة المسلمين لنصرة الدين، و استعدادهم للنيل من عدوهم، و التنكيل به أشد تنكيل ثم يذكر الواقعة و ما جرى بين الفريقين من قتال و مجاهدة، و تختتم بالنتيجة و هي النصر على أعداء الله»[1]، و قد صورت هذه الرسائل معالم الحياة السياسية و الاجتماعية و من أمثلة ذلك ما كتب في مخاطبة صاحب قلم الإنشا أبي زيد ابن خلدون في الغرض المذكور «سيدي الذي له الفضائل الذاتية، و المزايا الحسية و المعنوية، و درجة الشبق في المكارم دون مثنوية، صورة مكملة، و ذاتا مقلدة بالخصال الشريفة محملة، و بيته موصلة، و مجادلة مجملة و مفصلة، كتبت أهنئ سيادتك بنعمة الخلاص من الشدة، و استعاف سعادة النصبة، و طول المدة و السلامة من التحول، العائدة بسوء التقول، و ذهاب التمول، فأنت اليوم غير مثلوم الوفا و لا متكدر الصفا، قرير الجفن، بالإغفا، مجموع الشمل باليقين، و الله يجمعه بالرفا، و كنت أتوقع أن يذهب بك الضجر مذهبا تسوء مغبته ... فاعتبر ما نلت من رتب الحكمة، و إن نافست أرباب الذمم فالمعارف هي و نور الذمة، و أنفق في سوق السياسة صرفها من الهمة، و لا تغفل ملاحظة الأمور المهمة، و لتعلم أني و إن أعييت في باب الدالة عليك أعرف الخلق بما لديك، و أهواهم إليك، فأنصفني بإغتفار جنايتي، و لا يوحشك عتبي في سبيل حبي، فالله يعاملني فيك بنيتي، و يبلغني من جريان أمورك على ما يرضى أمنيتي قبل منيتي و السلام».[2]

---

[1]- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس**، ص 108.

[2]- **لسان الدين ابن الخطيب**، ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب، تحق: محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي بالقاهرة للنشر، ط1، 1981، ص 184-185.

هذه بعض الموضوعات التي تضمنتها الرسائل الديوانية حيث عكست الأحـــداث السياسية و الاجتماعية و كذلك الثقافية.

لقد ذكرنا ساقا أن الرسائل الديوانية هي التي تصدر عن ديوان الخليفة و كان لكل خليفة كاتب خاص به يتولى الكتابة عنه و يهتم بأمور الدولة و شؤونها و لهذه الرسائل خصائص حيث «عمل النقاد و الأدباءالقدامى على ضبط القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم ، و تعتبر رسالة عبد الحميد إلى الكتاب الدستور الذي سن هذه القواعد و أصبحت بذلك محترمة و متبعة، و قد وضع عبد الحميد القواعد الفنية التي سار عليها كتاب الرسائل الديوانية بعده، و قد ظلت طريقته تحتدى لدى كثير من كتاب الدواوين في القرن الثالث للهجرة، و كان من هذه القواعد التزام الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد، و قد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة مما جعل بعد القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسائل.

كما تضمنت الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم آراء و حجج الكتاب، و اتجه بعضهم إلى تضمين أبيات الشعر، و بذلك صارت الرسالة الديوانية معرضا لإظهار ثقافة الكاتب و معارفه في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية».[1]

و من هذا نستنتج أن الرسائل الديوانية كان لها «حظا كبيرا في سياسة الدولة، فهي تنبئ عن روح المجتمع و قيمه و ميزاته من فكر و أدب و علوم و أوضاع حرب و سلم، مصورة البيئة بما تحمل من معالم، دون أن تهمل مشاعر الكاتب و خواطره، و إبداعاتهالأدبية لتصبح بذلك فنا قائما يسمى أدب الرسائل الديوانية تخطو كل الحواجز التي تجعله تابعا لغيره جامدا، لا روح فيه ليبدو قطعا فنية

[1]- بوصوري ناصر، **فن الترسل في العهد الرستمي مقاربة أسلوبية**، جامعة ورقلة، ص 37-38.

زاخرة بالمعاني و الأفكار و الأحاسيس معتبرين إيـــــاهاأداة رسمية أساسية لا يستغني عنها حاكم أوأمير».[1]

2. الترسل الإخواني:

لقد كان الكتاب يتراسلون فيما بينهم «متخذين من الرسائل وسيلة للتعبير عـــن مشاعرهم و انفعالاتهم و ما تتعرض لـــه أحوالهم النفسية من نوازع متضاربة فصوروا فيها ما يعتريهم من شوق و فرح، و ما يتعرضون له من أحزان و أفراح و بداخلهم من رضا و غضب، و اتسعت موضوعات الرسائل الإخوانيةفأصبحت تعكس عواطف الكتاب في الـصـداقة و الشوق و البشارة و الفراق و الاستعطاف و الاعتذار و غير ذلك، و تنافس الكتاب في إظهار براعتهم، في هذا اللون من الرسائل، فوفروا لها عناصر المتعة الفنية من تصوير و صياغة و موسيقى، فجمعت بين المتعة الوجدانية، و المتعة الفنية و أحدثت بذبك تأثيرا قويا في نفوس الناس مما جعل بعض الشعراء ينجذبون إليها و يأخذونها وسيلة لتصوير عواطفهم بعد أن أصبح كثير من الناس يفضلون المنشور على المنظوم»[2]، فمن أغلب الموضوعات التي تتضمنها الرسائل الإخوانية هو كل ما يتعلق بالجانب الإنساني من حب و مودة و إخوة و صداقة.

و لم يشترط النقاد في هذه الرسائل شروطا في كتابتها كغيرها من الرسائل بل أعطوا لكاتبها الحرية في التعبير عن ما يدور في خاطرهم من عواطف و مشاعر من غير تكلف لأن التكلف لا يكون بين الإخوة: «فقد حاول النقاد أن يصنعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية و لكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هـــــذه المعالم في دقة».[3] و تندرج هذه الرسائل في مجموعتين «أولهما الرسائل الإخوانية شبه الرسمية، و هي تلك الرسائل التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين الكاتب و المخاطب ، أي أنها تلك الرسائـــــل التي

[1]- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة**، ص 203.

[2]- فوزي سعيد عيسى، **الترسل في القرن 3هـ**، ص 35.

[3]- أحمد بدوي ، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، نهضة مصر للطباعة و النشر، ص 578.

يتبادلها الخليفة أوالأميرأو الوزير مع من دونه في المنزلة الاجتماعية في أمور خاصة، و ثانيتها الرسائل الإخوانية الذاتية و هي التي تتناول ما يدور بين الأصدقاء من عتاب و شوق و عزاء و ما إلى ذلك من العواطف».[1]

و من المواضيع التي تضمنتها الرسائل الإخوانية: الشوق، العتاب، الاستعطاف، التهنئة ... الخ.

أ. العتاب:

هي تلك الرسائل «التي تدور حول عتاب الكاتب للمخاطب في أمر ساء منه، فاوجب عتاب له، و تتباين صور العتاب بين اللين و الرقة، و القسوة، و ذلـــــــك بحسب نفسية الكاتب و حالته و الغرض الذي استثاره فدبج رسالة فيه »[2]، و يستخدم الكاتب هذه الرسائل ليعاتب المخاطب على سوء فهم أو عدم السؤال أو القطيعة.

«و كانت رسائل العتاب تبدأ بالحديث عن العلاقة التي تربط الكاتب بالمخاطب و ما فيها من معاني الصداقة و المودة و الألفة، و من ذلك ما جاء في صدر رسالة بعث بها الحكم بن عبد الرحمن الناصر بأمر والده إلى الفقيه أبيإبراهيم يعاتبه فيها على تخلفه عن حضور حفل رسمي دعي إليه، و قد استهلها بإطراء الفقيه تمهيدا لغرضه و توطئة للعتاب لما امتحن أمير المؤمنين م ـــــــولاي و سيدي –أبقاه الله–الأولياء الذين يستعد بعم، وجدك متقدما في الولاية، متأخرا عن الصلة، على أنه قد أنذرك –أبقاه الله– خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده، لا أعدمه الله توالي المسرة، ثم أنذرت من قبل إبلاغا في التكرمة».[3]

[1]– فايز عبد النبي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5هـ**، ص 100.
[2]– المصدر نفسه، ص 101.
[3]– المصدر نفسه، ص 101.

ثم ينتقل الكاتب ليتحدث عن الأسبابالتي دفعته للمعاتية فمثلا كما جاء في الرسالة السابقة قوله: «فكان على ذلك كله، من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة، و استبلغ أمير المؤمنين في إنكاره، و معاتبتك عليه فأعييت عنك الحجة" [1]. كما يستفسر الكاتب أحيانا عن السبب الذي أدبإلى القطيعة أو عدم السؤال و قد جاء في الرسالة السابقة أيضا: "فعرفني –أكرمك الله– ما العذر الذي اوجب توقفك عن إجابة دعوته، و مشاهدة السرور الذي سر به، و رغب المشاركة فيه، لنعرفه –أبقاه الله– بذلك فتسكن نفسه الغريزة إليه».[2]

و يتضح لنا مما سبق أن رسائل العتاب تكون بين الأصدقاء و الأقارب لإزالة س ـوء التفاعم و تكون بأسلوب ممزوج بين اللين و الشدة حتى يأخذ العتاب شكلا من الجدية حرصا على مراعاة مشاعر الآخرين.

ب. التشوق:

يشعر الإنسان بالشوق و الحنين عندما يبتعد عمن يحب فيعبر عن ذلك برسالة ليشعر بالراحة و الاطمئنان و كأنه بجانب أهله و إخوته و يشترط في هذه الرسائل أن تكون خالية من الإطناب يقول القلقشندي:«ينبغي للكاتب أن يجمع لها (رسائل الشوق) فـــك ـــره، و يظهر فيها صناعته، و يأخذ في نظمها مأخذ اللطافة و الرقة، يدل على تمازج الأرواح و ما يجري هذا المجرى، و أن يستخدم لها أعذب لفظ، و ألطف معنى و يذهب فيها مذهب الإيجاز و الاختصار، و يعدل عن سبيل الإطناب و الإكثار لئلا يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب فيمل و يضجر و ينتظم في سلك الملق و التكلف اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء».[3]

[1]– فايز عبد النبي، المصدر نفسه، ص 101.

[2]– المصدر نفسه، ص 101.

[3]– القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج9، ص 142.

و من الرسائل التي تضمنت معاني الشوق و الحنين ما كبه ابن الخطيب «أما الشوق فحدث عنه و لا حرج، و أما الصبر فسل به أية درج، بعد أن تجاوز اللوى و المنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، والمؤمن يشق من روح الله الأرج، و أبي بالصبر على إبر الدبر و مطاولة اليوم و الشهر، حتى الحكم القهر، و هل للعين أن تسلو سلو المقصر عن إنسانها المبصر؟ أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي و المشاهد؟ و في الجسد مضغة يصلح إذا صلحت فكيف ح ـــالـــــــــــه إن رحلت عنه و نزحت؟ و إذا كان الفراق هو الحمام الأول فعلام المعول؟ أعيت مراوضه الفراق على الراق و كادت لوعة الاشتياق أن تقتضي إلى السياق:

تركتموني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا

أقرع سني ندما تارة و أستميح الدمع أحيانا »[1]

كتب هذه الرسالة ابن الخطيب إلى صديقه ابن خلدون يعبر له فيها عن مدى حزنه بسبب وحدته و قد شبه صداقتها بالقلب و الجسد و كأنهما جسد واحد و ختم رسالة ببيتين شعريين عبر فيهما عن نفاذ صبره.

ت.الشكوى و الاستعطاف:

لقد كان بعض الوزراء و الكتاب و الفقهاء و غيرهم يرفع إلى الخلفاء و الأمراء رسائل مختلفة، يشكون فيها المصائب و المحن التي حلت بهم، أو يعرضون فيها ما يلاقونه من ذل و هوان، أو ما يتعرضون إليه من حسد أو ابتلاء في الأهل و النعمة و المنصب.[2]

[1]- بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب**، تحق: إحسان عباس، ج6، دار صادر بيروت، دط، 1968، ص 145.

[2]- فايز عبد النبي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ص 103.

و من سمات هذه الرسائل الإيجاز و يجب فيها تجنب «الإكثار من شكاية الحال لما في ذلك من الإضجار و الإملال، و يجب أن تجعل الشكاية ممزوجة بالشكر و الاعتراف الجميل».[1]

و قد تناول الكتاب الشكوى بأغراضها المختلفة «فقد شكوا الزم ـــــان و أهله و قلة الوفاء، و نذرة الإخوان، و كثرة الفساد، و شكوا الفقر الذي لازم بعضهم، و المرض الذي ألم بهم».[2]

و من رسائل الشكوى رسالة كتبها "بدر مولى عبد الرحمن الداخل التي بعثها إلى سيده يشكو فيها ما حل به من ابتلاء في النعمة و المال و ما يلاقيه من ذل و هوان عندما أتى عيد و قد هجره سيده و سلبه نعمته و ماله حيث يقول: و قد أتى هذا العيد و أنا سليب من النعمة، مطرح في خضيض الهوان، أيأس مما يكون، و أقرع السن على ما كان.

و من هذا الضرب من الرسائل أيضا ما كتبه الوزير محمد بن سعيد الزجالي إلىالأمير عبد الرحمن الناصر يشكو فيه تنكيد الحساد، و تكدير الوشاة لصفو حياته، و سعيهم لهدم منزلته، و على رأسهم نصر الخصي، و يصف حاله قائلا: قد علم ما خصني به دون نظرائي من المنزلة الرفيعة التي أصبحت علما من أجلها محسودا مرميا بالحدق تسلقني الألسن، و تحول في الأفكار، و عندما استوى بناؤها، و قام عمودها و استرخت أطنابها، سعى في هدمها مـــــن لا أزال أؤثل شرف ذكره و أجل رفيع قدره.[3]

لقد كان الكتاب يكتبون مثل هذه الرسائل للتعبير عن حالاتهم الشخصية و ما يعانون منه من فقر أو مرض أو غير ذلك و يناشدون الملك أوالأمير لحل مشاكلهم.

[1]- مصطفى البشير قط، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم**، ص 126.
[2]- فايز عبد النبي، **أدب الرسائل في الأندلس**، ص 292.
[3]- المصدر نفسه، ص 103-104.

ثانيا– الترسل عند ابن خلدون و ابن الخطيب:

1. عند ابن خلدون:

أ. ترجمة ابن خلدون:

هو "ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحسين بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي و يتصل هذا النسب إلى وائل بن حجر الصحابي الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه و أجلسه عليه و دعا له.

ذكر ابن خلدون نسبه على هذا النسق، و قال: لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة.[1]

يعد ابن خلدون «ابن البيئة المغربية بكاملها التي استطاعت أن تؤثر فيه و يؤثر فيها فهو ولد بتونس من أسرةأندلسية كانت قد غادرت موطنها بإشبيلية إلى سبتة في منتصف القرن السابع الهجري، بالإضافةإلى هذا أنه كان قد غادر مسقط رأسه و هو لم يبلغ بعد العشرين من عمره إلى العاصمة المرينية بفاس، و الدافع الأساسي لهذا التنقل علمي، حيث إن الرجل أعجب بالأدبـــــاء و العلماء الذين رافقوا أبا الحسن المريني في حملته إلىإفريقيا (تونس) سنة ثمان و أربعين و سبعمئة 748هـ، و في هذا يجدر بنا ذكر السنين الكثيرة التي كان قد قضاها بين المغرب الأقصى، و المغرب الأوسط، حيث ألف في هذا الأخير مقدمته و تاريخه المشهور، و هذا دون نسياننا لتلك المدة القصيرة التي كان قد قضاها بالأندلس»[2]، «اهتم بفن الكتابة ليكون في يـــــوم ما كاتبا في الديوان و هذا كان شائعا في هذه العصور و ما سبقها، إذ كل م ـــــن أراد أن يصبح كاتبا فعليه أن يحفظ الكثير و الكثير من الأشعارو يحلها، كما أن يطلع على بعض على الخطب و الرسائل، و هذا إن لم يحفظها على الأقل يحفظ بعض تعابيرها، وكل ذلك ليمتلك فن الكتابة، و الدليل على هذا أن

[1]–محمد الخضر حسين، **حياة ابن خلدون و مثل من فلسفته الاجتماعية**، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، دط، 2012، ص10.

[2]– الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي**، ص 149.

القاضي الفاضل لما أراد أن يمتهن صناعة الكتابة سأله الموفق بن خلال رئيس ديوان الإنشاء بالقاهرة عن الوسائل التي أعدها لفن الكتابة فأجابه الفاضل بأنه يحفظ القرآن الكريم، وديوان الحماسة فأمره الموفق بن خلال بأن يحل شعر الحماسة كله».[1]

اتصف هذا المؤرخ بالعديد من الصفات التي ميزته عن أبناء عصره فقد كان حسن الخلق كما عرف بذكائه و لباقته حيث قال فيه لسان الدين بن الخطيب «كان رجلا فاضلا، حسن الخلق، جم الفضائل، ظاهر الحياء، وقور المجلس، خاص الزى، عزوفا عن الضيم، صعب المقادة، خاطبا للحظ، متقدما في فنون عقلية و نقلية، سديد البحث، كثير الحفظ، بارع الخط، مغرى بالتجلة، حسن العشرة إلى غير ذلك من الأوصافالتي تصدقها آراؤه و آثاره».[2]

أما أسلوبه لم يعتمد فيه على التزويق و التنميق إلا ما يخدم فكرته و من أسسه وضوح المعاني و ترابطها، دقة الألفاظ و سلامة التركيب، «فلم تسمح له حياته البالغة الاضطراب بأن يفرغ للأسلوب ينمقه و يزخرفه، لقد كان مولعا بمصائر الدول و مصارعها »[3]، فقد اعتمد في طرح أفكاره على الطريقة العلمية.

لقد «ظهر ابن خلدون في عصر كسدت فيه العلوم و درست الآداب و أزهقت الصناعة روح الكتابة، فهداه طبعه إلى الرجوع بالإنشاءإلى عهده، و الوقوف به عند حده، فرغب ع ـــن السجع و زهد في البديع و سار باللفظ وراء المعنى، و قد صرح بذلك في كلامه عن كتابته لأبي سالم أحد ملوك الأندلس إذ يقول: "و كان أكثرها يصدر يعني بالكلام المرسل بدون أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع لضعف انتحالها، و خفاء المعاني فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل، فانفردت به يومئذ، و كان مستغربا عند منهم من أهل هذه الصناعة».[4]

[1]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 151.

[2]- أحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة، دط، دت، ص 410.

[3]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 59.

[4]- أحمد حسن الزيات، المرجع نفسه، ص 411.

و من آراء العرب حول نثره نجد رأي لسان الدين ابن الخطيب في قوله: «و أما نثره (ابن خلدون) و سلطانياته، مرسلها و مسجعها، فخلع بلاغة، و رياض فنون، و معادن إبداع، يفرغ عنها، يراعه الجرى شبيهة البداأت بالخواتم في نداوة الحروف، و قرب العهد بجرية المداد، و نفوذ أمر القريحة و استرسال الطبع »[1]، و قد اتفق مع في رأيه هذا للشيخ إبراهيم الباعوني * من خلال قوله: «ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان، و له من النظم و النثر ما يزري بعقود الجمان مع الهمة العلية».[2]

ألف ابن خلدون العديد من المؤلفات و قد ذكر ابن الخطيب في كتاب الإحاطة البعض منها فقال: «شرح البردة شرحا بديعا دل به على انفساح ذرعه، و تفنن إدراكه، و غزارة حفظه، و لخص كثيرا من كتب ابن رشد، و علق للسلطان-ابن الأحمر- أيام نظره في العقليات تقييدا، مفيدا في المنطق، و لخص محصل الإمام فخر الدين الرازي، و ألف كتابا في الحساب، و شرح في هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال »[3]، و من مؤلفاته أيضا نجد كتاب "شفاء السائل لتهديب المسائل" فقد تناول فيه المذهب الصوفي أبرز أعلامه في المغرب بالإضافةإلى كتاب "العبر في ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" و التي عرفت فيما بعد باسم مقدمة ابن خلدون.

[1]-الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 217.

[2]*- المرجع نفسه، ص 217.

-العالم الشهير الشيخ إبراهيم الباعوني الذي صحب ابن خلدون عند قدومه إلى الشام.

[3]- محمد الخضر حسين، **حياة ابن خلدون و مثل من فلسفته الاجتماعية**، ص26.

ب.فن الترسل عند ابن خلدون:

من خلال بحثنا وجدنا فن الرسالة عند ابن خلدون بمعنى الكتابة فنية أو علمية أو بمعنى الخط فهي على حسبه «تطلع مـا في الضمائر، و تتأدى بها الأغراضإلى البلد البعيد، فتقضي الحاجات، و يطلع بها علـى العلوم و المعارف، و صحف الآليين و ما كتبوه في علومهم و أخبارهم »[1]، و الرسالة هنا سواء كانت إخوانيةأو ديوانية.

و عليه فإن ابن خلدون ينظر إلى الرسائل بكونها «شريفة، إذ بواسطتها نطلع على ما في الضمائر، كما نتصل ببعد مع الأشخاص، و هذا لقضاء الأمور و المصالح زيادة على اطلاعنا على شتى الأنواع من العلوم و المعرفة سواء أكانت في عصرنا، أم في عصر غيرنا من الأمم الماضية، كما يعدد صاحب نهاية الإرب الفوائد المتعددة من الكتابة الخطية بصفة عامة».[2]

إذن فالرسالة حسب ابن خلدون ميزة تميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات فهي تعبر عما يلوج في النفس و تنقله إلى الموطن البعيد و قد ذكر المؤرخ فوائد الكتابة باعتبارها «ظاهرة إنسانية حضارية و هي بهذا نعمة من نعم الخالق على المخلوق، إن الكتابة قد نبه إليهاالإسلام، و من الطبيعي أنه دفع المسلمين بدوره إلى توجيه اهتمامهم، و عنايتهم بتلك الظاهرة الحضارية (أي الكتابة)، و هذا لنعمها الجم ة، و فوائدها العظيمة على البشر. و من هنا يتضح أن تطور الكتابة الخطية و الإنشائية راجع إلى تلك الأمور التي كانت تعنى بشؤون المسلمين العامة، و الخاصة كقضية البيعة مثلا، و ولاية العهد و غيرها من الأمور التي تخص الوعظ، و التصوف و الحج التي كتبت فيها رسائل وعظية، و صوفية و حجازية، و معنى ذلك كل ما يخص المسلمين مـــن تلك الأمور الدنيوية و الدينية».[3]

[1]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 70.
[2]- المرجع نفسه، ص 71.
[3]- المرجع نفسه، ص 72.

فالكتابة هي وسيلة و غاية لأنها رسوم و أشكال حسب ابن خلدون إذ يقول: «هو (الخط) رسوم و أشكال تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية»[1] و يرى في كل من القول و الكلام عاملا مشتركا بين الكتابة الفنية و الخطية، «واعلم بأن الخط بيان عند القول و الكلام، كما أن القول و الكلام بيان عما في النفس و الضمير من المعاني، فلابد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة».[2]

فقد اطلع ابن خلدون على الكثير من المؤلفات المختصة بالترسيل و قواعده "كتسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل" للحميدي و "أحكام صنعة الكلام" لابن عبد الغفور الكلاعي و غ ـيرهـــا، و بالمناسبة فإن الحميدي قد ذكر الشروط للرسائل الرسمية منه أنه لا يجوز إيراد الشعر في تلك الرسائل إذ قال: «و من جملتها (الوصايا و الشروط) أن الرسائل السلطانية لا يستجاز من إيراد الشعر في أثنائها ما يستجاز في الرسائل الإخوانية».[3]

2. عند ابن الخطيب:

أ. ترجمة ابن الخطيب:

هو «محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، و يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب المشرقية بـ "لسان الدين"، و قد ولد كما ذكر و كما أجمعت المراجع القديمة و الحديثة في مسقط رأسه مدينة "لوشة" التي يسميها "بنت غرناطة" و التي لا تبعد كثيرا عن العاصمة النصرية غرناطة، و ذلك في اليوم الخامس و العشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشرة و ثلاثمائة و ألف في بيت علم و مجد و رئاسة، له صلاته بالبيوتات الشهيرة في غرناطة و غيرها

[1]- الطاهر توات، المرجع نفسه، ص 72.
[2]- المرجع نفسه، ص 74.
[3]- المرجع نفسه، ص 160.

من مدائن الأندلس و المغرب، و قد نقل أحمد بن محمد المقري عن غيره أن بيتهم يعرف قديما ببني الوزير، و حديثا ببني الخطيب».[1]

ترعرع في «مهد السؤدد و العلم و الرياسة، و تخرج على علمائها في علوم اللسان و الشريعة و الفلسفة و الطب و الرياضة و التاريخ، و بذ في كل ذلك معاصريه و مناظريه من أدباءالأندلس، ثم وصلته ماتة الشعر و الأدب بأبي الحجاج يوسف سلطان غرناطة (733-755)ن فاستكتبه، ثم استوزره و أطلق يده في شؤون ملكه فاتسع نفوذه و ضخم أمره، و مازال في هذا المنصب و تلك الحظوة حتى توفي أبو الحجاج و خلفه ابنه محمد الخامس فأقر لسان الدين في الوزارة، و لكن عقارب الوشاية دبت بين الرجلين، فتنكر له السلطان، ففر منه إلى افريقية فأكرمه ملوكها، ثم توالت عليه مكاره و خطوب انتهت بتسليمه إلىأعدائه، فاعتقلوه بفاس و أغروا جماعة من الفقهاء فأفتوابإلحاده لاشتغاله بالفلسفة فتسور عليه السجن بعض الأوشاب فقتلوه خنقا »[2] و ذلك سنة 776هـ الموافق لـ 1375م.

يعد لسان الدين ابن الخطيب أعظم شخصية في الأندلس من حيث الأدب و الفكر فقد ارتفع شأنه و عظمت منزلته في الكتابة فقدكان «كاتب مطبوع على السجع، سائر في صناعته مع الطبع، يذهب إلىالإطناب في رسائله شأن كتاب الأندلس، و ربما ساق الرسالة الضافية كلها على روى واحد، و النثر في الأندلس مبني على الخيال و الصناعة لغلبة الشعر على أهله، و قل أن تجد فيه السائغ المقبول لتكلفهم السجع، و تعلمهم التنميق، و توخيهم الإطالة، فهم شعراء بالطبع، و كتاب بالصنعة، على غير ما نرى في أهل الشرق. و له شعر رقيق اللفظ رائق المعنى مقبول الصنعة، و قد انتهت إليه زعامة العلم و الأدب في الأندلس، كما انتهت إلى ابن خلدون معاصره في افريقية،

[1]- مسعود جبران، **فنون النثر الأدبي**، ص 42.

[2]- أحمد حسن الزيات، نفس المرجع، ص 342-343.

لابنالخطيب القدم الراسخة في التاريخ، و مؤلفاته فيه تبلغ ستين كتابا، أشهرها كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة و هو معجم تاريخي لرجالات غرناطة في ثلاثة مجلدات».[1]

فقد امتاز أسلوبابن الخطيب بكثرة الإطناب و طول الجمل فكان له أسلوب خاص و هذا ما جعله كاتب مترسل بليغ حيث وصفه ابن خلدون في قوله: «و كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم و النثر و المعارف، و الأدب لا يساجل مداه، و لا يهتدي بمثل هداه».[2]

و بالرغم من انشغاله بالمجال السياسي و كذلك الاجتماعي إلا ان ذلك لم يقف عائقا أمام كتاباته فقد ألف في الأدب و الطب و التاريخ و السياسة و التصوف و الشريعة...الخ و من مؤلفاته:

- **ريحانة الكتاب** و نجعة المنتاب: طبع هذا الكتاب في مجلدين و يتضمن هذا الكتاب الكثير من الرسائل السياسية المتعلقة بالوضع الحربي و كذلك الرسائل السلطانية ذات الصلة بسلاطين المغرب.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: يدور موضوع هذا الكتاب حول تاريخ غرناطة فقد ذكر فيه كل ما يتعلق بها من أخبار و من معالم تاريخية فقد قدم فيه صورة شاملة عن هذه المدينة.
- **التاج المحلي في مساجلة القدح المعلى** : فقد تضمن هذا الكتاب ملخص لتاريخ غرناطة منذ نشأتهابالإضافةإلى ترجمة بعض الكتاب و الأدباءالأندلسيين و قد ألف كتاب آخر و هو عبارة عن تكملة لهذا الكتاب سماه الإكليل الزاهر، في من فضل عند نظم التاج من الجواهر فقد تناول فيه ترجمة بعض الإعلام من معاصريه منهم أبي القاسم العزفي–ابن الجد الفهري– ابن مقاتل المالقي ... و غيرهم.

هذه بعض مؤلفاته فهي كثيرة بالرغم من ضياع العديد من كتبه التي لم تتم طباعتها.

[1]– أحمد حسن الزيات، المرجع نفسه، ص 343.

[2]– محمد مسعود جبران، المرجع نفسه، ص 197.

ب.فن الترسل عند لسان الدين ابن الخطيب:

يعد ابن الخطيب أعظم شخصية تاريخية برزت في ميدان الفكر و الأدب فقد «تولى رئاسة ديوان الإنشاء في حمراء غرناطة النصري-كما ألمعنا في ترجمته- بعد وفاة شيخه الرئيس أبي الحسن علي بن الجيابن الذي هلك في مرض الطاعون الجارف الذي اجتاح الأندلس سنة (1348/749) فسمي رئيسا بذلك الديوان الذي كان قد اشتغل فيه من قبل مع شيخه ابن الجياب، فصار بذبك وزيرا للكتابة، و صاحب العلامة و التوقيع فيه منذ أواخر عهد السلطان أبي الحجاج يوسف إلى زمن طويل من عهد ولده محمد الخامس الغني بالله. فكان م ـــــــدة تقلده لهذه الخطة و بجملة م ـــا حرره و أصدره من المكاتبات السلطانية الكثيرة من أشهر كتاب الإنشاء في الغرب الإسلامي و الأندلس، بل يعد من اظهر من أنجبتهم العربية في النثر الديواني، خلال تاريخها الطويل».[1]

و لقد شكلت الرسائل «في تراث لسان الدين بأغراضها و ألوانها المختلفة كما هائلا في مجموع فنون نثره الأدبي، و تشغل حيزا واسعا في إبداعهالأسلوبي و الفني، و يمكننا أن تقرر هنا أن كل ما جاء في كتابه "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" و جل ما اشتمل عليه كتاب "ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب" مع الرسائل الأخرى التي أوردها في "نفاضة الجراب"و "الإحاطة" و "أعمالالإعلام" مع ما احتفظ لنا به بعض مترجميه، يعد مندرجا ضمن هذا الفن من الفنون النثرية في آثاره».[2]

و هناك أسباب عديدة ساهمت في كثرة هذه الرسائل و من أهمها:

«على مستوى النثر الديواني، أو الرسائل الرسمية نلحظ طـــــول خدمته في الديوان النصري، و توليه مسؤوليات الكتابة مرؤوسا بابن الجياب، ثم رئيسا خلال عهدي سلطانية أبي الحجاج يوسف، و ابنه محمد الغني بالله بعد موت ابن الجياب.

[1]- محمد مسعود جبران، **المرجع نفسه**، ص 104.

[2]- المرجع نفسه، ص 99.

على مستوى الرسائل الإخوانية و المزاوجة نلحظ أيضا اتساع دائرة علاقاته الشخصية مع السلاطين و الحكام في غرناطة و فاس و المغرب الأدنى و الأوسط، و صلته الكبيرة مع كبار رجال الدولة في تلك الأقطار، و أيضا مع العلماء و الأدباء و الكتاب الذين كان كثيرا ما يستشيرهم للكتابة و المجاوبة في بعض الأحيان، أو يكتب لمجاوبتهم عن رسائلهم في أحيانأخرى».[1]

[1]- محمد مسعود جبران، المرجع نفسه، ص 99.

تناولت في هذا الفصل بالدراسة و التحليل عن أهم القيم الدلالية التي تزخر بها رسالتي ابن الخطيب و ابن خلدون، و على ضوء ذلك حاولت أن أقف على الرسالتين من جوانبها البنيوية الخطابية و العوامل الأساسية التي يتشكل منها النص.

إن القارئ للرسالتين الإخوانيتين "رسالة ابن الخطيب" و رسالة "ابن خلدون" ليجد فيهما قيما فنية و أسلوبية و بلاغية تعبر عن عواطف الود التي يتبادلها الأقارب و الأصدقاء فيما بينهم.

- **رسالة الشوق لابن خطيب لصديقه ابن خلدون:**

«حَللتَ حُلولَ الغيث بالبلـدِ المِحْلِ على الطائر الميمون والرَّحب والسَّهلِ

يميناً بمَنْ تَعْنُو الوجوه لوَجْهـه من الشّيخ والطفل المهَدّأ والكهـلِ

لقد نشأت عندي للقياك غبطـةٌ تُنَسّي اغتباطي بالشَّبيبَة والأهـلِ

ووُدّي لا يُحتاج فيه لشاهـد وتقريري المعلوم ضربٌ من الجهـلِ

أقسمت بمن حجت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمة الأحياء لميته، و نور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته، لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، و العارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، و يرف نماء، و يغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب إشارة و إيماء، بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته، أو يقدح ذباله في ظلمته، أو يقوم حواريه في ملته، من الأحابش و أمته، وزمانه روح و راح، و مغدي في النعيم و مراح وقصف صراح، و رقي و جـــراح، و انتحاب و اقتراح و صدور ما بها إلا انشراح، و مسرات تردفها أفراح، و بين قدومك خليع الرسن، ممتعا و –الحمد الله– باليقظة و الوسن، محكما في نسك الجنيد،أو فتك الحسن، ممتعا بظرف المعارف، مالئا أكف الصيارف، مـــاحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب و إن راقني زمنه، و أعياني ثمنه، و أجرت سحائب دمعي دمنه. فالحمد الله الذي رقى جنون اغترابي، و ملكني أزمة أرابي، و غبطني

بمائي و ترابي، و مألف أترابي، و قد أغصني بلذيذ شرابي، و وقـــــــع على سطوره المعتبرة إضرابي. و عجلت هذه مغبطة بمناخ المطية، و منتهى الطية،و ملتقى السعود غير البطية و تهني الآمال الوثيرة الوطية. فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريك، متجملة بزيك، عاقلة خطى مهريك، و مولى مكارمه نشيدة أمثالك، و مظان مثالك، و سيصدق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك في التخلف عن الأصحار، لا بل اللقاء من وراء البحار، و السلام».[1]

✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الشوق لابن الخطيب:

من أهم الفنون التي كتب فيها ابن الخطيب كان هذا الإحساس غير زائف أو منمق لا يعبر فيه عن مشاعر كاذبة، بل مشاعر حقيقية خالصة، يقول ابن رشيق القيرواني: «الشوق إحســـــــاس و وجدان، و هو في اللغة يعني نزاع النفس إلى الشيء».[2]

و من "رسائل ابن الخطيب في هذا الغرض رسالته التي بعثها إلى صديقه "ابن خلدون" و تبدأ بثلاثة أبيات شعرية موضوعها حلوله بظاهر الحضرة" [3]، حيث يشبه نفسه بالمطر الذي يجلب الخير على المكان الذي حل فيه و على أهله المقيمين فيه إذ صرح بلفظ المشبه به "الغيث" و حذف المشبه (ابن الخطيب نفسه) على سبيل الاستعارة التصريحية و يتجلى ذلك في قوله:

حَللتَ حُلولَ الغيث بالبلــدِ المحْلِ على الطائر الميمون والرَّحب والسَّهلِ

بعد هذا الاستهلال الشعري ينتقل إلى النثر، و يبدأ ذلك بالقسم بالله و برسوله صلى الله عليه و سلم [4]: "أقسمت بمن حجت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمة الأحياء لميته ..."و في هذا القسم بيان لمكانة النبي صلى الله عليه و سلم العظيمة من باب التلميح لا التصريح، و من هنا يتضح قدرة امتلاك ابن الخطيب للبنية الدلالية من خلال توظيف الكناية و لعل السبب من وراء إيراد

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا**، د الكتاب اللبناني للنشر، دط، 1979، ص 86-87.

[2]- أبو علي الحسن بن رشيق القيراوني، **العمدة في محاسن الشعر**، د الجيل للنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 147.

[3]- أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب**، ص 173 بتصرف.

[4]- ينظر: المصدر السابق، ص 173.

هذا القسم هو إعلام ابن خلدون بمدى حبه له، و «أيضا إيراد القسم أراد به تعظيم و تأكيد الفكرة التي يريد طرحها»[1] (بين رجع الشباب يقطر ماء و يرف نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيماء [...]مسرات تردفها أفراح) و هي أنه لو أن ابن الخطيب محير بين عودة شبابه بكل الخير الذي عاشه في ذلك الوقت، و بكل الحب الذي كـــان عنده، و بنشاطه و بحريته و لو خير كذلك بين ما حدث في شبابه بين نجاح و سقوط بين النعيم و المرح الذي كان فيه ... فلو خير بين كل ذلك الشباب و بين قدوم ابن خلدون مسنا هرما منزوع السن فهو يكون ممتعا متميزا حين يمزج بين اليقظة و الفطنة و الشجاعة و الدهاء.

«يردف ابن الخطيب في رسالته لصديقه ابن خلدون معللا الشوق الذي يكنه إليه »[2] بقوله: (ممتعا بظرف المعارف، و مالئا أكف الصيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف)... فهو يثني على صديقه و يصفه بجميل الوصف إذ هو ممتع مع أصحابه كريم غير بخيل متصدقا بالمال لمن كان فقيرا أو حتى الذي كان يملك مالا، ليس فقط للفقير المحتاج، و بذكائه و بداهته فهو يتغلب على العلماء و أشباههم و يمحي بحجته أجمل ما كتب و نمق أولئك العلماء، "هي مقابلة دلالية يجمعها لنا ابن الخطيب بين شبابه و بين ذكاء و دهاء صديقه في قمة تلك الصعوبة في الاختيار إذ يحدد قراره فيقول: " لما اخترت الشباب و إن شاقني زمنه، و أعياني ثمنه، و أجرت سحاب دمعي دمنه" [3]، و بهذا يظهر اختياره لصديقه و القسم الذي أورده دليل اختياره فهو لن يختار شبابه لأن شبابه مرتبط بمرحلة الفتوة و قلة النضج، ميزت ذلك الزمن فقد أعياه و أبكاه لكنه يحمد الله على كـــــل نعمه و أجل نعمة هي تكوين صداقات و خلق الألفة بين أصدقائه كالتي تجمعه مع ابن خلدون إذ يقول: (الحمد لله الذي رقى جنون اغترابي، و ملكني أزمة آرابي، و غبطني بمائي و ترابي، و مألف أترابي)

[1]- المصدر نفسه، ص 174.

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص 174.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص 174.

فهو يحمد الله على نعمه و كل ما حدث له من الاغتراب، و ساعده في حل الأزمات و حمده على تكوين صداقاته.

إن ابن الخطيب في رسالته الموجهة لصديقه ابن خلدون يعبر فيها عن شوقه المتواصل لصديقه فهو يخبره عن تجاربه و عن كل أملاكه، و ليس صداقته لرجل كابن خلدون عن محض صدفه، إنها اختيار عن قناعة انبنت على التوافق الفكري و النفسيّ، هذه الصداقة التي لم تهزها الرياح و لم تدمرها المسافات تحدث فيها ابن الخطيب بأسلوب رائع يعبر فيها عن مدى احترامه لصديقه رغم فارق السن بينهما، فإن هذا الغرض الذي تطرق إليه ابن الخطيب قد استعمل فيه الكلمات الجميلة الرقيقة للتأثير في نفس المخاطب حيث أحسن التعبير عـــــــن ذلك باستخدام الأساليب السلسلة و العبارات الرقيقة، إلا أنه بالغ في الوصف، و في التعبير بمزجه بين الشعر و النثر، لإظهار القدرة الشعرية و الكتابية في رسائله و استعماله مختلف التنميقات اللفظية و الخيالات الواسعة.

وظف ابن الخطيب في رسالة مجموعة من القواعد البلاغية العربية من بيان و بديع و ذلك لإظهار القدرة الفنية و كذا للإسهام في حسن الصياغة و التركيب، و من تلك القواعد التي وظفها نجد الاستعارة و الكناية، و الجناس، و السجع، و الإيجاز و الإطناب و قد ألفينا في رسالة الأديب إلى صديقه ابن خلدون، استعارات جميلة في عبارات مختلفة من بينها (رجع الشباب) حيث شبه الشباب بإنسان يرجع فحذف المشبه به و أشار إليه بلازمة من لوازمه و هي "الرجوع" و هي قرينة مانعة لإيراد المعنى الصريح على سبيل الاستعارة المكنية، فالشباب لا يعود إنما الكائن الحي هو الذي يعود، و أراد بهذه الاستعارة إظهار جمال زمن الشباب الذي عاشه و هو بهذا التصوير الاستعاري يشرح المعنى و يبينه بصورة تشخيصية تجعله واضحا لدى القارئ. و في "يغازل عيون الكواكب" استعارة مكنية إذ شبه الكواكب بامرأة فحذف المشبه به و ترك لازمة تدل عليه "العيون" على سبيل الاستعارة المكنية. و في قوله: "حللت حلول الغيث" استعارة تصريحية إذ شبه نفسه بالغيث حيث صرح بلفظ المشبه به "الغيث" و حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية و في هذه الاستعارة بيان لمكانة ابن الخطيب الذي ما إن حل على القوم حل معه الخير كله إذ زادت المعنى قوة و جمالا.

لو تأملنا رسالة ابن الخطيب إلى صديقه ابن خلدون لوجدنا اعتماده على الاستعارات المكنية أكثر اعتماده من الاستعارات التصريحية لأن المكنية تكون أبلغ و تحتاج إلى نظر معمق للوصول إلى المعنى المقصود على خلاف التصريحية، و قد أحسن ابن الخطيب إدراجها في رسالته مع مبالغة غير قليلة منه في ذلك التوظيف و وجود الاستعارة التصريحية قليل في خطاباته.

إننا نجد الكتابة كما الاستعارة في رسائل ابن الخطيب ففي رسالة شوقه لصديقه نجد الكتابة في جملة من العبارات من بينها عبارة "حجت قريش لبيته" لا يدل الخطيب على أن قريشا حجت بيت الرسول صلى الله عليه و سلم فبيته ليس بالكعبة، و إنما أراد ابن الخطيب أن يكني بهذا القول عن عظمة الرسول صلى الله عليه و سلم و تصغير قريش رغم ما كانت عليه في عهد قبل الإسلام من قوة و مال، فالكاتب قـــدم حقيقة عظمة النبي صلى الله عليه و سلم مصحوبة بالدليل و البرهان و هو حج قريش لبيته، و من أجل تعظيم القسم، و لتعظيم قوة العلاقة الودية الجامحة بين الكاتبين استعمل هذه الكناية لتأكد الفكرة و توضيحها.

وظف ابن الخطيب في رسالته الكناية و هي تنتمي لقسم حسن الاستعمال الذي أشار إليه ابن الأثير و قـــد وظفها ابن الخطيب بطريقة إبداعية تظهر حسه البلاغي، و معرفته بالقواعد البيانية و القوة الإيحائية المؤثرة لديه، فاستخدامه للكناية أراد من خلاله أن يوصل معانيه بطريقة غير مباشرة مبنية على أساس التلميح دون التصريح مما أثر في نفس المخاطب.

إلى جانب الأساليب المجازية التي ذكرانها فإن ابن الخطيب أكثر من استعمال الأساليب البديع في سجع و جناس و غيرهما.

أما السجع الذي يعد من أدوات علم البديع و هـــو في اللغة: «سجع يسجع سجعا، استوى و استقام، و أشبه بعضه بعضا و السجع: الكلام المقفى و الجمع أسجاع و أساجيع أي تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر بغير وزن، مجاله الأول هو النثر».[1]

« لقد حـــرص ابن الخطيب في رسائله على إظهار براعته الفنية عبر استخدام السجع »[2]، و جـــاء هذا في رسالته إذ يقول: أقسمت بمن حجت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمة الأحياء لميته، و نور ضربت الأمثال بمشكاته و زينته، سجع متواز لاختلاف بـــاقي الكلمات في الفقرات الثلاث و يجد هذا السجع موضعا لنفسه في قلب القارئ و في نفسيته، و في الفقرات التالية: (و زمانه روح و راح، و مغذى في النعيم و مراح، و قصف صراح، و رقي و جراح، و انتخاب و اقتراح ..). هنا سجع مطرف {راح، مراح، صراح، جراح } و فيها كذلك سجع متواز بين {مراح، جراح، صراح } من خلال هذه الأسجاع ينشد الكاتب ألحانه و يظهر أعذب الأنغام الموسيقية الصوتية الطبيعية.

يقول ابن الخطيب: "و يسع فضل مجدك عن الأصحار، لا بل اللقاء من وراء البحار"، هنا سجع مطرف أضفى لونا موسيقيا بديعا مؤثرا في نفسية ابن خلدون.

في رسالة ابن الخطيب وظف حرف "الهاء" عشرات المرات و حرف الهاء أكثر الحروف استعمالا في رسائل ابن الخطيب باثنين و خمسين حرفا دلالة على الراحة النفسية الكبيرة للمتكلم.

استعان الكاتب في رسالة الشوق بالجناس كذلك في مواقف مختلفة و هو محسن لفظي يراد به اتفاق اللفظتين نطقا و اختلافهما معنى و يتجلى ذلك في "روح" و "راح"، "صراح"، "اقتراح" هذا ما أضفى على الكلام جرسا موسيقيا زاد الأسلوب جمالا.

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد7، باب السجع، ص 128.

[2]-أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، المكتبة العصرية للنشر، ط1، 1999، ص 330.

وظف ابن الخطيب عدة محسنات لفظية منها السجع بألوانه إلا أنه وظف بنسبة كبيرة السجع المتوازي و أخيرا السجع المرصع بنسبة قليلة جدا، « و السجع كالحلي، في النصوص بادية فيه، و قد أحسن توظيفه بشكل جميل ظاهر في الرسائل و منها رسالة الشوق »[1]، و قد أحسن استعماله و إن كان في بعضه تكلف و تصنع، إلا أنه عموما أحسن توظيفه بشكل جميل ظاهر في رسالة الشوق.

ابن الخطيب «يعد من المترسلين الموظفين للخصائص الفنية إن كان من ناحية البيان و البديع على المستوى الدلالي، و على المستوى الصوتي و التركيبي»[2]، و قـــــــد أحسن استعمال الاستعارة و الكناية و السجع و الجناس في هذه الرسالة الذي اتسم في أحايين كثيرة بالمبالغة، فقد قال فيه حنا الفاخوري: «مذهب التنميق الذي يمتد في إطناب و إسهاب، الذي لا يهمه الأداء بمثل ما يهمه التحبير و التنميق و الزخرفة و إظهار البراعة و المهارة »[3]، إلا أنه وظف تلك الخصائص بطريقة فنية جميلة، و كان هذا الاستعمال نابعا من القلب كما لمسنا هذا الإحساس المؤثر يحرك مشاعر المرسل إليه، هذا ما نراه في رسالة ابن خلدون التي يرد فيها على ابن الخطيب.

لقد عرف الأدب القديم خاصة في شقه النثري مجموعة من الرسائل كرسالة الشوق إذ حاول من خلالها إبراز صورة المجتمع حينها، و يعد جولة شيقة في رحاب رسالة الشوق خلصت إلى النتائج التالية:

- المذهب الذي اتبعه ابن الخطيب في رسائله هو مذهب التنميق اللفظي من خلال إفراطه في السجع المكلف و المبالغة في التصوير.
- إلمامه بالصور البلاغية و هذا ما يميز الرسالة لاعتمادها على الصناعة و الزخرف اللفظي.
- استخدام الكاتب الألفاظ الدينية دليل على تشبعه بالثقافة الإسلامية و شيوع النزعة الدينية.

[1]- حنا الفاخوري، **الجامع في الأدب القديم**، د الجيل، بيروت، ط1، 1986، ص 928.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 928.

[3]- حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب القديم**، ص 928.

- ركز ابن الخطيب في توظيف استعاراته على الاستعارة المكنية أكثر من التصريحية باعتبار المكنية أبلغ من التصريحية التي تعمل على إثارة ذهن القارئ و تحفيزه على المشاركة في إنشاء الدلالة.
- ركز ابن الخطيب على سهولة الاستعارة أكثر من تعقيد الكناية حيث أنه لم يعتمد على التعقيد بل اعتمد السهولة و البساطة مع قليل من المبالغة التصويرية لذلك طغت الاستعارة على الكناية.
- قام ابن الخطيب بتوظيف الموسيقى الداخلية، فقد كان لها حظ وافر في رسالة الشوق و هي متمثلة في السجع و الجناس لاستئناس الإذن عند سماعهما، و هذا ما يدل على فكره الأدبي الرفيع في الأخيلة و التصوير في الألفاظ و التراكيب الحافلة بالحيوية و الإبداع.
- تباين فن الترسل عند ابن الخطيب بين الطول و القصر و نلاحظ هيمنة الرسائل الطويلة على القصيرة لأن في الطول شرحا للأفكار و بالتالي تحريك مخيلته.
- تقوم الصور البلاغية و المحسنات البديعية و القاموسان الصرفي و النحوي على التأثير في الملتقى و تحريك انفعاله.
- أدت الكناية إلى كشف رؤية الكاتب و أفكاره.
- العودة إلى الكلمة العربية القديمة هي بالضرورة عودة إلى جمالها و سحرها الأخاذ و غناها الموسيقي التي يميزها عن غيرها، فالكلمة تحمل المعنى الجليل إذ تستوفي شروط إظهار ذلك المعنى للملتقى، و هذا ما أداه ابن الخطيب في رسالة الشوق.

- **رسالة الرد لابن خلدون يجيب فيها ابن الخطيب:**

«سيدي مجدا و علوا، و واحدي ذخرا مرجوا، و محل والدي برا و حنوا. مازال الشوق- مذ نأتي بي و بك الدار، و استحكم بيننا البعاد- يرعى سمعي أنباءك، و يخيل إلي من أيدي الرساح تناول رسائلك، حـــــــتى ورد كتابك العزيز على استطلاع، و عهد غير مضاع، و ود ذي أجناس و أنواع، فنشر بقلبي ميث السلو، و حشر انواع المسرات، و قد للقائك زناد الامل، و من الله أسأل الإمتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك، و يسني أماني و أمانيك. و حيية تحية الهائم، لمواقع الغمائم و المدلج، للصباح المبتلج و أمل على مقترح الاولياء، خصوصا فيك، من اطمئنان الحال، و حسن القرار، و ذهاب الهواجس، و سكون النفرة، و عموما في الدولة، من رسوخ القدم، و هبوب ريح النصر، و الظهور على عد و الله، باسترجاع الحصون التي استنقذوها في اعتلال الدولة، و تخريب المعاقل التي هي قواعد النصرانية، غريبة لا تثبت إلا في الحلم، و آية من آيات الله. و إن خبيئة هذا الفتح في طي العصور السابقة، إلى هذه المدة الكريمة، لدليل على عناية الله بتلك الذات الشريفة، حيث ظهرت على يدها خوارق العادة، و مـــــا تجدد آخر الأيام من معجزات الملة، و لكم فيها -و الحمد لله- بحسن التدبير، و يمن النقيبة، من حميد الأثر، و خالد الذكر، طراز في حلة الخلافة النصرية، و تاج في مقرق الوزارة. كتبها الله لكم فيها يرضاه من عباده.

و وقفت عليه الأشراف مـــــن أهل هذا القطر المحروس، أذعته في الملأ سرورا بعز الإسلام، و إظهارا لنعمة الله، و استطرادا لذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء، و التماس الدعاء، و الحديث بنعمتها، و الإشادة بفضلها على الدول السالفة و الخالفة و تقدمها، فانشرحت الصدور حباء و امتلأت القلوب إجلال و تعظيما، و حسنت آثار اعتقادا و دعاء.

و كان كتاب سيدي لشرف تلك الدولة عنوانا، و لما عساه يستعجم من لغتي في مناقبتها ترجمانا، زاده الله من فضله، و امتع المسلمين ببقائه. و بثه شكوى الغريب، مـــــن السوق المزعج، و الحيرة التي تكاد تذهب بالنفس أسفا، للتجافي عن مهاد الأمن، و التفويض عن دار العز. بين

المولى المنعم، و السيد الكريم، و البلد الطيب، و الإخوان البررة، "و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير". و إن تشوفت السيادة الكريمة إلى الحال، فعلى ما علمتم، سيرا مع الأمل، و مغالبة للأيام على الحظ، و إقطاعا للغفلة جانب العمر.

هل نافعي و الجد في صبب مري مع الآمال في صعد رجع الله بنا إليه. و لعل في عظمتكم النافعة، شفاء هذا الداء العياء إن شاء الله، على أن لطف الله مصاحب، و جوار هذه الرياسة المزنية–و حسبك بها علمية– عصمة وافية صرفت وجه القصد الى ذخيرتي التي كنت أعتدها منهم كما علمتم، على حين تفاقم الخطب، و تلون الدهر، و الإفلات من مظان النكبة، و قد رتعت حولها، بعدها جرته الحادثة بمهلك السلطان المرحوم على يد ابن عمه، قريعة في الملك، و قسيمة في النسب، و التياث الجاه، و تغير السلطان، و اعتق الأخ المخلف، و اليأس منه، لولا تكييف الله في نجائه، و العيث بعده، في المنزل و الولد، و اغتصاب الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة النصرية –أبقاها الله– مـــن النعمة، فآوى إلى الوكر، و ساهم في الحادث، و أشرك في الجاه و المال، و أعان على نوائب الدهر، و طلب الوتر، حتى رأى الدهر مكاني، و أمـــــل الملوك استخلاصي، و تجاروا في إتحافي. و الله المخلص من عقال الآمال، و المرشد إلى نبذ هذه الحظوظ المورطة.

و أنبأني سيدي بما صـــــدر عنه من التصانيف الغريبة، و الرسائل البليغة، في هذه الفتوحات الجليلة، و يودي لو وقع الاتحاف بها أو بعضها، فلقد عاودني الندم على ما فرطت.

و أما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم، من استقرار السلطان أبي إسحق أبي يحي بتونس مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين القائم بأمره، رحمة الله عليه، مضايقا في جبابة الوطن، و أحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته. مصانعا لهم بوفره على أمان الرعايا و السابلة، لو أمكنه حسن السياسة جهد الوقت، و من انتظام بجاية محل دولينا في أمر صاحب قسنطينة و بونة، غلابا كما علمتم، محملا الدولة بصرامته و قوة شكيمته فوق طوقها، من الاستبداد و الضرب على أيدي المستغلين من الأعراب، منتقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك، إلا ما

شمل البلاد من تغلب العرب، و نقص الأرض من الأطراف و الوسط، و خمود دبال الدول في كل جهة، و كل بداية فإلى تمام.

و أما أخبار المغرب الأقصى و الأدنى فلديكم طلعه، و أما المشرق فأخبار الحاج هذه السنة من اختلاله، و انتقاض سلطانه، و انتزاء البغاة على كرسيه، و فساد المصانع و السقايات المعدة لوفد الله و حاج بيته، ما يسخن العين و يطيل البث، حتى لزعموا أن الهيعة اتصلت بالقاهرة أياما، و كثر الهرج في طرقاتها و أسواقها، لما وقع بين أسندمر المتغلب بعد يلبغا الخاسكي، و بين سلطانه ظاهر القلعة، من الجولة التي كانت دائرتها عليه، أ جلت عن زهاء الخمسمائة قتلى، من حاشية و موالي يلبغا و تقبض على الباقين، فأودع منهم السجون، و صلب الكثير، و قتل أسندمر في محبسه، و ألقي زمام الدولة بيد كبير من موالي السلطان، فقام بها مستبدا، و قادها مستقلا، و بيد الله تصاريف الأمور، و مظاهر الغيوب، جل و علا.

و رغبتي من سيدي —أبقاه الله— أن لا يغب خطابه عني، متى أمكن، يصل بذلك مننه الجمة، و أن يقبل عني أقدام تلك الذات المولوية، و يعرفه بما عندي من التشيع لسلطانه، و الشكر لنعمته، و أن تنهوا عني لحاشيته و أهل اختصاصه، التحية، المختلسة مـــــن أنفاس الرياض، كبيرهم و صغيرهم».[1]

✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الرد لابن خلدون:

تناولت في هذا المبحث الكشف عن أهم القيم الدلالية و التركيبية التي تزخر بها رسالة ابن خلدون إلى صديقه ابن الخطيب و في ضوء ذلك حاولت أن أطبق على نص الرسالة من جوانب بنيوية متعددة من حيث الكشف على أهم الصور الجمالية التي ميزت أسلوب ابن خلدون الذي يعد مدرسة أسلوبية راقية نظرا لتمكنه من ناحية اللغة العربية.

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص 130-136.

الترسل من أهم الصناعات الإنشائية التي كانت تشكل نوعا بارزا في قائمة الأنواع الأدبية المرتبطة بالحضارة الإسلامية في شتى البلدان و الدول و نتيجة ذلك تظهر الرسائل في تجليات مختلفة لعل أبرزها الرسائل الإخوانية و هي صناعات تقوم بالتعبير عن عواطف الوداد التي يتبادلها الأقـــارب و الأصدقاء فيما بينهم.

و نتيجة ذلك تقدم الكتابة بدور عظيم في خدمة الأمة مما جعلها من أهم الصناعات التي يسعى طلاب العلم إلى اكتسابها في العالم العربي. و في مغربه بخاصة و هذا ما وجدناه عند —ابن خلدون– «الذي كان له اهتمام واسع بهذا الفن. و هكذا ضمن سيرته الذاتية التي تقع في آخر مجلد في كتابه التاريخ».[1]

رسالة ابن خلدون «تنتمي إلى النوع الآخر الإخواني جاءت بصيغة جوابية إلى صديقه الوزير الأندلسي ابن الخطيب »[2]. و في «هذا الإطار فقد تم تعيين نص واحد لشكل نثري مهمش في الدراسات النقدية المعاصرة هو فن الترسل»[3] للقيام بدراسة أسلوبية من حيث الدلالة و التركيب.

و نلاحظ في بداية هذا الصدد –و الملاحظة لا تبدو لنا زائدة– بأن كل تحليل أو دراسة ذي مهمة علمية باعتباره يبحث عن قوانين، و لذلك سأتناول في هذه القراءة الرسالة –أسلوبيا– من الجوانب التالية:

[1]–ابن منظور، لسان العرب، ص 930.

[2]– المصدر نفسه، ص 930.

[3]– حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب**، ج1، ص 116.

إن المتأمل في رسالة الرد لابن خلدون على رسالة الشوق لابن الخطيب نجد الكاتب «اعتمد على العناصر الستة التي تدخل في تشكيل جهاز التخاطب في نظرية الإخبار عند باكبسون و التي تبنى عليها عملية التواصل اللفظي للخطاب المتألفة من جملة الوظائف المتباينة لمجموع العناصر السالف ذكرها».[1]

رسالة ابن خلدون زاخرة بقيم دلالية خلف ترابطات العناصر المشكلة للبنية الخطابية التي تشكل نوعا من الكون الصغير فهو تركيبي دلالي في الوقت نفسه.

- **البنية التركيبية:**

تقوم أي رسالة على بنية تقوم على أهم عناصر العملية التواصلية و هما المرسل و المرسل إليه اللذان يتواصلان وفق قناة و تقنين و سياق مقاسي يظهر فيه الخطاب. «و أن كل الرسائل تشترك في أهم الوظائف و التي هي وسائل الإقناع كأدوات التوكيد، و التضاد، و التقابل زد عن ذلك وسائل الإخبار»[2] هذه المستويات التي سنحاول الوقوف عليها من خلال هذه الدراسة التطبيقية.

«مصدر الخطاب هنا هو –"ابن خلدون"–، فهو الفاعل الرئيس الباعث على إنشاء خطاب يوجه إلى صديقه —"ابن الخطيب"– في شكل رسالة كتابية».[3]

«فالمرسل هو ابن خلدون (الأنا المتكلم) إذ هـــــــو في موضع الإعلان بأحوال الذات العامة و الخاصة من خلال رسالة إخوانية موجهة إلى الأنت (الصديق) يستهل ابن خلدون خطابه ... فأجبته على هذه المخاطبات، و تفاديت من السجع خشية القصور عن مساجلته، لم يكن شأوه يلحق. إلى ختام قوله: «و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ...».[4]

[1]– ينظر: عبد السلام المسدي، **الأسلوبية و الأسلوب**، د العربية للكتاب، ط2، 1982، ص 157-158.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 165.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص 166.

يتضح من خلال هذا الخطاب أن ابن خلدون يقوم بوظيفة الفعالية تجعله يحتل في هذا الملفوظ مكانة مركزية بصيغة الأسلوب غير المباشر «من خلال الأدوات اللغوية التي تفيد الانفعال كالتعجب أو صيحات الاستنفار»[1]. و من أمثلة التعجب قوله: "بعد ما جرته الحادثة بملك السلطان المرحوم على يد ابن عمة قريعة في الحكم".

«أما الاستنفار نلمسه من خلال الشكوى التي يبدأ بها بسط موضوع رسالته و شكوى الغريب من الشوق المزعج التي تكاد تذهب بالنفس أسفا للتجافي الذي قـــــد يكون بين الخلان و الأصدقاء»[2]. يقوم ابن خلدون «بأسلوب غير مباشر ملتزما الموضوعية و الحيادية في الـــطـــرح و تفكيك كل أجزاء الرسالة لأنه يعبر جزء من عملية التواصل فاسمه مكتوب على رأس كل رسالة».[3]

المرسل إليه هو ابن الخطيب و هي مخاطبة شخصية نصيا جاءت بصيغة افتتاحية "سيدي" في بداية الرسالة و نهايتها، « و قد استعمل المرسل هذه اللفظة نسبة إليه للمبالغة و هو من الألقاب الخاصة نظرا للمكانة المرموقة –لابن الخطيب– التي كان تحتلها في البلاط الغرناطي».[4]

و منه فإن ابن الخطيب في موقع الملتقى الخالي الذهن الذي يتقبل الأخبار المرسلة من طرف المرسل من خلال ما مر بنا يتضح لنا أن ابن خلدون في رسالة الرد ركز على الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل و تبدو هذه العلامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة أي تحول الأفكار الصوتية إلى صيغ تعبيرية تقدم الخبر وفق صياغة خاصة هي ما يشكل في نهاية الأمر أثرا جماليا. فابن خلدون يقدم لنا الخبر على شكل رسالة تتشكل من (مقدمة، موضوع، خاتمة) تتجلى فيها الصيغ التعبيرية من خلال الضمائر المتنوعة بين ضمير المتكلم الدال على المرسل و من أمثلة ذلك "سمعي، أماني، ..." ثم ضمير المخاطب الذي جاء على صيغة المفرد أنت

[1]– نبيلة إبراهيم، **فن القص في النظرية و التطبيق**، مكتبة غريب، مصر، دط، دت، ص 20.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

(سيدي، فيك، رسائلك). و ضمير الجمع المخاطب "أنتم" "لديكم، يبقيكم، عضتكم" و هي صيغ جاءت للدلالة على صورة المرسل إليه خاصة عند الدعاء و التهنئة، و التودد و التحية و السلام هذه العناصر تظهر بصورة جلية في مقدمة و نهاية الرسالة و هي دليل على أن المرسل إليه يحظى بمكانة مرموقة لدى –ابن خلدون– و أن ابن الخطيب لا يفارق مخيلة ابن خلدون « و أهم ما يجدر الإشارة إليه أن صورة —ابن خلدون– تظهر كاملة في النص في شكل صديق مشتاق إلى صديقه يقوم بسرد أخباره المتعلقة بالسلطة وفق سياق يجمعه بابن الخطيب هي الرتبة السياسية و بالتحديد عملية التأثير و الإقناع انطلاقا من توظيف المعجم السياسي مثل "الخلافة، الأشراف، السلطان، الحاشية».[1]

أما التقنين فيمكن أن نلخصه في تعبير ابن خلدون عن مشاعر الصداقة التي تربطه بصديقه الوزير –ابن الخطيب– في بداية الرسالة في قوله: (سيدي مجددا و علوا ... مازال الشوق مذ نأت بي و بك الدار و استحكم بيننا البعاد، و يخيل إلى من أيدي الرياح تناول رسائلك ...). و بالتالي يتضح الملمح التركيبي بهذه الرسالة أن فن التراسل بين الأصدقاء ذوي الرتب السياسية يلجئون إلى ترجمة أحوالهم الخاصة و العامة.

و تتسم الرسالة بانسجام موضوعها الذي ينصب في إطار سياسي ينقسم إلى ثلاث (3) وحدات إخبارية هي:

- الإخبار عن أحوال الذات مع السلطة.
- الإخبار عن أحوال إفريقيا.
- الإخبار عن أحوال المشرق.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

و مما سبق عرضه نستنتج أن الرسالة مرتبطة من حيث تركيبها و محتواها التي تدخل في بنائها إذ أن كل عنصر تمهيد للذي يليه حتى لا يحدث انقطاع في الكلام و اهتزاز للمعنى الذي يخدم المحور العام، و الشيء الذي يثمن هذا الانسجام هو تمكن الكاتب من قواعد اللغة العربية حيث جاء أسلوبه سلسا سهلا مباشرا حريصا على إنتقاء اللفظة، تجويد العبارة.

إن منطق الترابط الذي تتميز به البنية الخطابية للرسالة تحيلنا على مستوى تنظيمها المعنوي أي تلك الأدبية القائمة في انتظام بنية المعنى، فالمعنى عند ابن خلدون لا يتضح إلا من خلال الصور البيانية و المحسنات البديعية التي يستعين بها من غير تكلف و تصنع. فدعونا نتعرف على البنية الدلالية في رسالة ابن خلدون:

ابن خلدون هو الفاعل الرئيس الذي يتكفل بعملية الكتابة (الكاتب) الذي يقم من خلالها بوظيفة سردية يحتل في هذا الملفوظ مكانة مركزية تتميز بوصفه مرسلا بصيغة الأسلوب غير المباشر للأحداث فهو في وضع الإعلام بالأحوال الخاصة و العامة إذ يقول: فأجبته عن هـــــذه المخاطبات و تفاديت من السجع خشية القصور. «و المتأمل لهذه العبارة الاستهلالية يلاحظ نفور الأديب من السجع المكلف الذي ميز فن الترسل في هذا العصر »[1]. تتجزأ رسالة –ابن خلدون– من حيث النسبة إلى ثلاثة عناصر تتمثل كما أشرنا سالفا في المقدمة، العرض (الموضوع)، الخاتمة.

الصيغة الافتتاحية –المقدمة– هي أول ما يقع في السمع من كلامك و لذلك قال بعض الكتاب: «أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البنيان »[2]. حيث يشترط فيها أن تكون جذابة نصل إلى ذهن المرسل إليه متناسبة مع نوع الرسالة. و أن ترد الرسالة مصدرة بحسن الافتتاح المطلوب في سائر أنواع الكلام ليكون داعية للاستماع ما يعده و خبر مثال على ذلك فواتح السور القرآن الكريم.

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

[2]– حميد الحميداني، **بنية النص السردي**، لمركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، ط1، 1991، ص 33.

يقول القلقشندي: «إن الافتتاح بالرسائل الإخوانية المغربية يكون في الغالب بصيغ معروفة فيما بينهم من بين هذه الصيغ أن تفسح المكاتبة بكناية عـــن المكتوب إليه مـــــــــن لقب و نحوه ...»[1] و مثاله ما كتبه ابن خلدون إلى ابن الخطيب حيث أسهل كتابه بكناية جميلة تتجلى في قوله: "سيدي مجدا و علوا" و هي كناية عن المكانة المرموقة (تقلد الوزارة) التي كان يحتلها في البلاط الغرناطي. و قد جاءت هذه الصورة البيانية مقترنة بالمدح و هو فن الثناء الحسن كما يظهر ذلك في قوله: و واحدى ثخربا مرجوا، و محل و الدي برا و حنوا و هي كلها كنايات عـــــن صفات الحلم و الكرم و حسن التدبير التي تميز بها ابن الخطيب.

لقد وفق ابن خلدون في اختيار الكنايات التي تدل على مكانة المرسل إليه –ابن الخطيب– فهي «كنايات استهدفت جانب الفضائل النفسية لأنها أشرف و أصح »[2]. و عليه فإن الكاتب يسعى من خلال مقطعه الاستهلالي السابق تعداد أفضل الصفات و الفضائل النفسية المأثورة عن المرسل إليه و هي (المجد، الكرم، الحنو) عبر الكاتب من خلالها عن صفات العظمة و المكانة المرموقة بأسلوب غير مباشر (التلميح، لا التصريح).

«انتقل ابن خلدون إلى بيان شوقه لابن الخطيب و هو نزاع الشيء و حركة الهوى و يعبر من الرقع الإخوانية التي ينبغي للكاتب أن يجمع بها فكرة، و يظهر فيها صناعته البلاغية البيانية، لأنها تدل على تمازج الأرواح و ائتلاف القلوب و يستخدم لهذا المقام أعذب الصور البيانية و يذهب فيها مذهب الإيجاز و الاختصار، و يعدل عن الإطناب و الإكثار، لئلا يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب. فيعل و يضجر و يدخل في غمار الملق و التكلف».[3]

[1]– القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص 152.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 154.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 156.

و قد أشار ابن خلدون و أبدع في إشارته من خلال قوله: "مازال الشوق مذ نات بي و بك الدار و استحكم بيننا البعاد يرعى معي أنباءك ... باسترجاع الحصون التي استنقدوها". و نستشف من خلال هذا الكلام أن الشوق هنا مرتبط بتلك العلاقة الحميمية الخاصة المتجدرة في الروح و هي ما يسميها كاتبنا (الصداقة) التي ضحى في سبيل المحافظة عليها حيث جعل الشوق شبيها بالإنسان الذي ينتظر الأخبار فحذف المشبه به و ترك لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية. فقد استعمل ابن خلدون ألفاظا موحية و قوية قوة النفس الملتاعة بألم الفراق التواقة إلى انقشاع سحابة الجفاء و عودة العلامة إلى سيرتها الأولى من المودة و الصفاء و هذا ما جعل يشبه حاله عند استلام كتابه بمثابة الدواء الذي أزال ما يجده في قلبه من تباريح الأسى و ظلمة الجفاء ة يتجلى ذلك في قوله: (تناول رسائلك ...) و هي استعارة مكنية جميلة شخصت المعنوي في صورة مادية محسوسة زادت المعنى قوة و وضوحا.

الملاحظ من خلال هذا المقطع أن المرسل يعبر عن مشاعره عند استلام خطاب صديقه الذي انتظره بتعبير مجازي يجعل الرسالة ذات مشخصة يحييها تحية العطشان الفرح بالغمام الذي يبشر بالمطر و الرجل الذي يسير في ليل سرمدي حتى إذا أسفر الصبح و لاحت الشمس افتر تعزه عن ابتسامة تزيل ما علق بنفسه من هم البعاد و لوعة الأشواق و هذا بالضبط ما كان يشعر به ابن خلدون عندما جاءته البشرى بأفول ظلمة الهجرات و انقشاع سحابة الجفوة و إشراق شمس المودة من جديد حيث عبر عن هذه المشاعر كلها باستعارات مكنية جميلة و من هنا نستنتج قلة الاستعارات التصريحية و كما أثرنا سالفا أن الاستعارة المكنية هي الأبلغ لوصف المشاعر و ما وظف من استعارات تصريحية إلا ما جاء عفويا مثل قوله: "تخريب المعاقل" حيث شبه النصرانية بالمعاقل حيث صرح بلفظ المشبه به و حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية. كان اهتمام الكاتب بالبديع كاهتمامه بالبيان خاصة عندما كان في مقام مدح المرسل اليه —ابن الخطيب– عندما خصه بأفضل ميزه اشتهر بها و هي البراعة في فن (الترسيل المسجوع) و قد أورد ألفاظا تظهر معانيها شدة و تبحره

في هذا العلم-فن الترسل، و كان كتاب سيدي لشرف تلك الدولة عنوانا، و لما عساه يستعجم من لغة في مناقبها ترجمانا.[1]

و في هذا المقام مبالغة في رسم منزلة الوزير في نظم الرسائل المسجوعة حيث صارت كتاباته تعكس شرف الدولة و نصرها، كما رأينا السجع و الجناس حاضرين في مستهل الرسالة عندما قال: (سيدي مجدا و علوا، و واحدي ذخرا مرجوا، و محل والدي برا و حنوا ...) و هو سجع جميل زاد الأسلوب رونقا و جمالا.

و يتضح مقام الجناس الناقـــــص أيضا في قوله: و الإشادة بفضلها على الدول السالفة الخالفة ... «لم يكن كاتبنا من العاشقين للسجع المكلف إذ لم يوظف منه إلا ما يخدم الفكرة و هما يتضح أن ابن خلدون سبق عصره في أسلوب الكتابة المصاب بوباء التنميق اللفظي الذي ذهـــــــب بماءه و رونقه و تركه مرارا كثيرة على حالة المرض المدنف فإذا أزلت ستار الألفاظ البراقة فإنك لا تقع إلا على معان مكرورة غثة مبتدلة».[2]

و مما سبق عرضه نستنتج أن الرسالة في محتواها و مضمونها و أسلوبها مترابطة من ناحية البنية الكبرى (المقدمة، العرض، الخاتمة) نهي تتوالى ضمن ترابط بنائي محكم و مـــــن أمثلته (سيدي مجدا و علوا)، (حييته تحيت الهائم لمواقع الغمائم)، و أمل على مقترح الأولياء، (و وقفت عليه الأشراف من أهل هذا القطر) (و بثثته شكوى الغريب) (من انتظام بجاية محل دولتنا) مع الإشارة إلى وجود بعض الروابط السببية و منها: (بعدما جرته الحادثة بمهلك السلطان المرحوم على يد ابن عمه)، (من الجولة التي كانت دائرتها عليه، أجلت عن زهاء خمسمائة قتلى). أما الروابط المكانية فتتمثل في المناطق التي تحدث عن أخبارها (تونس، بجاية، القاهرة).

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 158.

[2]- ينظر: حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب القديم**، ص 117.

و مما سبق ذكره تخلص إلى إن الرسالة قائمة على المنطقية، التي تجعلها في علاقة تكامل من حيث (البنية الكبرى) متكاملة كذلك من ناحية (البنية الصغرى) المكونة لها: مما يجعلها في علاقة ترابط من حيث المضمون و الأسلوب الذي يخدم المحور العام: السلطة و السلطان. بعد فسحه علمية في رحاب الأدب المغربي مع رائد من رواده ابن خلدون أدبيا و سياسيا حيث تراوحن هذه الرسالة على عديد من الموضوعات الفنية المذكورة في بطن هذه الدراسة التطبيقية و فيما يلي ذكر لأهم ما توصلت إليه: رسالة ابن خلدون تنتمي إلى النوع الإخواني جاءت بصيغة جوابية إلى صديـــقه الوزير–ابن الخطيب–، اعتمد ابن خلدون في رسالة الرد على الجانب الملموس في العملية التخاطبية.

قدم ابن خلدون الخبر على شكل رسالة تتشكل من مقدمة و عرض و خاتمة.

استعان الكاتب بضميري المتكلم و المخاطب فالأول يعود على المرسل و الثاني ليعود على المرسل إليه مما زاد الرسالة انسجاما و اتساقا.

استطاع ابن خلدون أن يظهر صديقه –ابن الخطيب– في صورة كاملة في شكل صديق مشتاق بعد سنوات الجفاء.

جعل ابن خلدون رسالة في إطار سياسي تنقسم إلى وحدات إخبارية ثلاثة.

وفق ابن خلدون في اختيار الصور البليغية كالكناية و الاستعارة التي شخصت صورة الشوق في صورة مادية محسوسة زادت المعنى قوة و جمالا.

ابتعد ابن خلدون عن الزخارف اللفظية المنمقة المكلفة فلم يوظف السجع مـــن باب التصنع و إنما أظهر في استخدامه براعة أضفت على أسلوبه جرسا موسيقيا جميلا.

خاتمة

إن الذي يتعمق في أشكال النثر المغربي القديم ليجد ثراء و تنوعا من حيث الموضوعات و الأشكال و بعد دراسته –انطلاقا من فن الترسل– تمكنت من الوصول إلى نتائج أجملها في النقاط التالية:

- ✓ كان النثر في هذا العصر يحتل مكانة كبيرة، حيث كان في بداياته الأولى صورة عن الأدب المشرقي ثم تطور تدريجيا إلىأدب مستقل بذاته له كيانه و خصائصه و سماته المستقل بها.
- ✓ كان هذا الأدب صورة للمجتمع بكل جوانبه إلى فرضتها الظروف السياسية و الواقع الخارجي الـــــــــذي ساعد على نشاط النثر بشكل كبير فاستجاب النثر لمقتضيات العصر و تنوعت نصوصه و هـــــــذا ما وجدته جليا واضحا في نثر ابن خلدون القائم على الإخبار و الإقناع.
- ✓ كان الأدباء على قدر كبير من الثقافة التي زاوجوا فيها بين الشعر و النثر فعبروا بكل ما جادت به قرائحهم من نقل صور الحياة اليومية و تصوير المشاعر والأحاسيس من لوعة الفراق و الشوق و غيرها.
- ✓ طبع فن الترسل بالطابع الديني نظرا لاهتمام أهله بالدين الإسلامي.
- ✓ ركزت الأشكال النثرية في مضمونها على معالجة الجانب السياسي و مـــــــا لحقه من أزمات و اضطرابات و هذا ما وجدته جليا واضحا في رسالتي ابن الخطيب و ابن خلدون.

- ✓ ارتقى فـــــــن الترسل في الأدب المغربي القديم إلى الدرجة الفنية فاختص بأساليب متنوعة و موضوعات مختلفة و تخلى عن قيود التقليد المشرقي فاستقل بذاته رغم الصراعات التي واكبته.
- ✓ لم يخل فن الترسل من التنميق اللفظي حيث لمسنا الحضور الكثيف للمحسنات اللفظية خاصة السجع المكلف و ربما هذا راجع لرغبة الكتاب و لإظهار براعتهم الأسلوبية.
- ✓ تميز فن الترسل بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم و الاستشهاد به تعزيزا للمعنى فضلا عن الأشعار المستعملة التي تتماشى مع المضمون الثقافي في بلاد المغربالإسلامي .

هذا ما استطعت أن أتوصلإليه بعد رحلة البحث أرجو أن أكون قـــــد وفقت في صياغته و إخراجه بحلة تليق به لأعبر—ولو بجزء صغير- على ما يزخر به المغرب من تراث كبير يحتاج للدراسة و البحث و التنقيب.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش .

-أ-

- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، تحقيق أحمد أمين أحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت.
- أبو عباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 1، د الكتب المصرية بالقاهرة، دط، 1922.
- أبو علي حسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، ج 1، د الجيل، ط5، 1981.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، د الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، دط، دت.
- ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين، د الجيل، بيروت، ط4، 1963.
- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، ج 1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط27، 1969.
- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، د المكتبة العصرية، دط، دت، 1999.
- أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، د نهضة مصر للطباعة و النشر، دط، 1996.
- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د صادر بيروت، مجلد7، دط، 1968.

- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، د نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، دط، دت.
- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة و مهارات الخطيب، د الكلمة للنشر و التوزيع، مصر، ط5، 2016.
- أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، د القلم، بيروت، لبنان، تحق عبد الرحمن بدوي، دط، 1979.
- العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي منذ النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية.
- الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن الهجرتين الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة2، 2010.
- الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة و إعداد الخطيب، د النصر للطباعة الإسلامية، مصر، دط، 1984.

-ح-

1. حسن علي محمد، التحرير الأدبي دراسات نظرية و نماذج تطبيقية، مكتبة العيكان، الرياض، ط1، 1417هـ-1996م.
2. حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع، ط1، 1991.
3. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب القديم، د الجيل، بيروت، ط1، 1986.

-ل-

- لسان الدين ابن الخطيب، ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان المجلد 1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1980.
- لويس شيخو اليسوعي، علم الأدب، ج2، مطبعةالأباءاليسوعيين، بيروت، ط3، 1962.

-م-

- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، د الفكر العربي للطبع و النشر، ط2، 1980.
- محمد الخضر حسين، حياة ابن خلدون و مثل من فلسفته الاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، دط، 2012.
- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تحقيق على د حروج مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996.
- محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الديـــــــــــن ابن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية)، المجلد الأول، د المدار الإسلامي، ط1، 2004.
- مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم، د اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، دط، 2009.

-ن-

- نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية و التطبيق، مكتبة غريب مصر، دط، دت.

-س-

- سامية جباري، أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس من فتح الأندلسإلى سقوط غرناطة (92هـ-897)، دط، دت.
- سليمان ابن وهب، البرهان في وجود البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، دط، 1969.

-ع-

- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 1، د الكتب اللبناني للطـبـــــــــاعة و النشر، بيروت، ط2، دت.
- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، د النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008.
- عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا، د الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، دط، 1979.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحق عبد الله محمد الدرويش، د يعرب دمشق للتوزيع، ط1، 2004.
- عمر عروة، النثر الفني أبرز فنونه و أعلامه، د القصبة للنشر، دط، دت.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، د العربية للكتاب، ط2، 1982.

-ف-

- فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، د البشير للنشر، ط 1، 1409هـ-1989م.
- فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث هجري، د المعرفة الجامعية، دط، 1991.

-ق-

- قدامى بن جعفر، نقد النثر، د الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، 1980.

-ش-

- شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للهجري، د العلم للملايين، بيروت، ط4، 1978.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د المعارف، القاهرة، ط8.

- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه، د المعارف، القاهرة، ط10، 1983.

-الدوريات:

- **المعاجم:**

1. أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 2، د الفكر للطباعة و النشر، دط، 1979.
2. الزمخشري، أسرار البلاغة، دط، دت.
3. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، د الحديث القاهرة، دط، 2008.
4. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.

- **الرسائل:**

1. بوصوري ناصر، فن الترسل في العهد الرستمي مقاربة أسلوبية.
2. حكيمة إملولي، الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم العهد الموحدي أنموذجا.
3. نورية بن عدي، الأدب في العصر الزياني الثاني (749/952 هـ).

- **المجلات و الجرائد:**

1. المجلة الزرقاء للبحوث و الدراسات الإنسانية، عمر أحمد الربيحات، أحمد غالب الخرشة، العدد1، 2015.
2. مجلة العلوم الإنسانية ، الاتجاهات الفنية في الأدب المغربي القديم، عبد القادر شريط، العدد 33، جانفي 2014.
3. جريدة الشرق زهرة السيد، أدب الرسائل، 20-10-2013.

الفهرس

الموضوعات	رقم الصفحة
آية	
شكر وتقدير	
إهداء	
خطة البحث	
مقدمة	أ–ب
مدخل: مفهوم النشر عند العرب	22–1
1. مفهوم النشر	1
أ. لغة	1
ب.اصطلاحا	2
2. أشكال النشر عند العرب	5
أ. الخطابة	5
الخطابة لغة	5
الخطابة اصطلاحا	6
أنواع الخطابة	8
• الخطب السياسية	8
• الخطب الانتخابية	8
• الخطب النيابية	9
• الخطب العسكرية	9

• الخطب القضائية	10
• الخطب الدينية	10
• الخطب المحفلية	11
ب.الرسالة	15
✓ المعنى الاصطلاحي	15
✓ أنواع الرسائل	18
• الرسائل الديوانية	18
• الرسائل الإخوانية	19
➢ تطور أدب الرسائل	21
الفصل الأول: فن الترسل في الأدب المغربي	23–59
توطئة	23
أولا– أدب الرسائل في المغرب	29
❖ أنواع الترسل	36
1. الترسل الديواني	37
➢ أهم موضوعات الرسائل الديوانية	39
أ. البيعة	39
ب.الاعتذار	41
ت.العهود	42
ث.التوقيعات	43
ج. الفتوحات	44
2. الترسل الإخواني	46
أ. العتاب	47
ب.التشوق	48
ت.الشكوى و الاستعطاف	49

ثانيا– الترسل عند ابن خلدون و ابن الخطيب	51
1. عند ابن خلدون	51
أ. ترجمة ابن خلدون	51
ب.فن الترسل عند ابن خلدون	54
2. عند ابن الخطيب	55
أ. ترجمة ابن الخطيب	55
ب.فن الترسل عند لسان الدين ابن الخطيب	58
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لرسالتين متبادلتين بين ابن الخطيب و ابن خلدون	79–60
▪ رسالة الشوق لابن خطيب لصديقه ابن خلدون	60
✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الشوق لابن الخطيب	61
▪ رسالة الرد لابن خلدون يجيب فيها ابن الخطيب	68
✍ الخصائص الأدبية و الجمالية في رسالة الرد لابن خلدون	70
الخاتمة	81–80
قائمة المصادر و المراجع	86–82
الفهرس	89–87

ملخص:

لقد عرف فن الترسل منذ ظهوره تطورا فنيا ساير فيه الأنواع الأدبية الأخرى إذ أن عهده كان موصولا بالعرب قبل الإسلام فجذوره ضاربة في تاريخ الأدب القديم فكانت الرسالة بذلك لسان الوصل لكل ما تختلجه النفس البشرية من حب و مودة و شوق و عتاب و غيرها من المشاعر و العواطف، فكان لهذا الفن محطات إلى أن وصل كفن قائم بذاته يحمل خصائص جمالية و أدبية الذي برز فيه ابن الخطيب و ابن خلدون.

الكلمات المفتاحية:

الأدب المغربي، النثر، الرسائل، ابن الخطيب، ابن خلدون، الشوق.

Résumé :

L'art du tarsel est connu depuis son apparition en tant que développement technique dans lequel existaient d'autres genres littéraires, puisque son époque était liée aux Arabes avant l'Islam, ses racines sont frappantes dans l'histoire de la littérature ancienne. Le message était donc un lien avec tout ce que l'âme humaine produit, l'amour, d'affection, de désir de repentance et d'autres sentiments. Les émotions étaient pour ces stations d'art jusqu'à son arrivée car un linceul porte à lui seul les caractéristiques esthétiques et littéraires, qui ont émergé d'Ibn al-Khatib et d'Ibn Khaldoun.

Les mots clés :

Littérature marocaine, Prose, les messages, Ibn al-Khatib, Ibn Khaldoun, nostalgie.

Summary:

The art of tarsel is know since its appearance as a technical development in which other literary genres existed, since its era was linked to the Arabs before Islam, its roots are striking in the history of ancient literature: The message was therefore a link with all that the human soul produces, love, affection, desire, repentance and other feelings.

The emotions were for these art stations until his arrival because a shroud alone carries the aesthetic and literary characteristics, which emerged from Ibn al-Khatib and Ibn Khaldoun.

Key words:

Moroccan literature, Prose, messages, Ibn al-Khatib, Ibn Khaldoun, longing.